الفوائد الجعفرية

من أنوار الأحاديث النبوية

للعارف بالله تعالى
سيدي الشيخ صالح الجعفري
رضي الله تعالى عنه

سيدى الإمام العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى
صاحب درس الجمعة الشهير بالأزهر الشريف ومؤسس الطريقة
الجعفرية الأحمدية المحمدية رضى الله تعالى عنه .

الفوائد الجعفرية

من أنوار الأحاديث النبوية

للعارف بالله تعالى
سيدى الشيخ صالح الجعفرى الأزهرى
رضى الله تعالى عنه

الناشر

دار جوامع الكلم
مشيخة الطريقة الجعفرية
١٧ ش الشيخ صالح الجعفرى ـ الدراسة ـ القاهرة ـ ت : ٩٢٧٣٦٧

فضيلة الشيخ عبد الغنى صالح الجعفرى
شيخ الطريقة الجعفرية الأحمدية المحمدية رضى الله تعالى عنه

الفوائد الجعفرية

من أنوار الأحاديث النبوية

للعارف بالله تعالى
سيدى الشيخ صالح الجعفرى الأزهرى
رضى الله تعالى عنه

الناشر

دار جوامع الكلم
مشيخة الطريقة الجعفرية
١٧ ش الشيخ صالح الجعفرى ـ الدراسة ـ القاهرة ـ ت : ٩٢٧٣٦٧

كلمة الناشر

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

وبعد

فإن دار جوامع الكلم الجعفرية التى تشرف بالانتساب إلى سيدنا ومولانا العارف بالله تعالى إمام الجامع الأزهر الشريف فضيلة الشيخ صالح الجعفرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ يسرها أن تقدم لأبناء الشيخ ومحبيه ، ولمحبى الحق وطالبيه ، ما كتبه الشيخ ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى شرح أربعين حديثا ، وهى المسماة :

الفوائد الجعفرية من أنوار الأحاديث النبوية .

وهى أحاديث جامعة تزهق الباطل وتخفيه ، وتحق الحق وتبديه ، وتقمع الزيغ والضلال ، وتهدى إلى الرشد والكمال .

نسأل الله تعالى أن ينفع بها كما نفع بمؤلفها ، إنه ـ تعالى ـ سميع قريب مجيب .

دار جوامع الكلم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

الحمد لله رب العالمين رحمن الدنيا والآخرة .
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى عترته الطيبة الطاهرة .

وبعد

فإن شيخنا وإمامنا العارف بالله تعالى سيدى صالح الجعفرى الذى كان إماما للجامع الأزهر الشريف قد قصد إلى شرح أربعين حديثا من أحاديث المصطفى ﷺ تكون الحاجة إليها ملحة لأهل هذا الزمان الذى كثرت فيه المذاهب الباطلة ، وانتشرت العقائد الفاسدة ، التى روّج لها أهل الأهواء من المنكرين لحياة النبى ﷺ وسائر الأنبياء ، والمانعين لزيارته ﷺ وزيارة أهل بيته وعترته ، وزيارة الأولياء والصالحين من أمته .

كما قصد ــ رضوان الله عليه ـ أن تشتمل هذه الأحاديث على ما يرغب فى ذكر الله تعالى والتقرب إليه بصالح الأعمال ، والتخلق بما يهذب النفس ويرقى الروح فى مراقى الكمال .

ونحمد الله تعالى الذى وفقنا لطبع هذا الكتاب المحتوى على ما كتبه شيخنا فى هذا المجال .

وقد سماه ـ رضى الله عنه ـ كما وجد ذلك بخطه :

الفوائد الجعفرية من أنوار الأحاديث النبوية

وشاء الله ـ تعالى ـ بمنه وكرمه أن يطبع هذا الكتاب قبيل الاحتفال بمولد الشيخ ـ رضى الله تعالى عنه ـ ليكون هدية من هداياه لأبنائه ومحبيه فى تلك المناسبة الجليلة .

ونسأل الله ــ تعالى ـ أن ينفع به كل من قرأه وتأمل فيه ، وأن يمده بمدد الشيخ وعلمه وهديه ، وأن يوفقنا جميعا لصالح الأعمال ، والتأسى بأهل النور والكمال .

وتجنب أهل الزيغ والضلال . إنه سبحانه ـ جواد كريم ، رءوف رحيم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

عبد ربه الغنى

عبد الغنى صالح الجعفرى

شيخ عموم الطريقة الجعفرية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحديث الأول :

عن أنس بن مالك ــ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ــ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ قال :

« ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله تعالى ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار »(١) .

★ ★ ★ ★

الإيمان لغة : التصديق ، واصطلاحًا : فسَّره النبى ــ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ بقوله : **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومرّه »**(٢).

وقد ذكر النبى ــ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ــ حلاوة الإيمان ، وجعل لها ثلاثة أسباب :

الأول : **« أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما »**، ولهذه الجملة معنيان :

الأول : حصول الإيمان بالتصديق بالله ـ تعالى ـ وبرسوله . صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

الثانى : حلاوة الإيمان بحب الله ـ تعالى ـ وحب رسوله . صلى الله عليه وعلى آله وسلم

---

(١) رواه البخارى ومسلم وابن ماجة وأحمد وأبو داود.

(٢) رواه البخارى ومسلم .

وقد أجاد حجة الإسلام الشيخ الغزالى ـ رحمه الله ـ وأفاد فى كتابه الإحياء فى الجزء الرابع ، فى باب : محبة الله ـ عز وجل ـ ومن كلامه :

« للمحبة أسباب ، وهى النعم ، ولا نجد لأحد نعمًا كما لله تعالى ، فيجب علينا أن نحبه أكثر من كل شىء » ا هـ .

قلت :

فى الحديث : « **أحبوا الله ـ تعالى ـ لما يغذوكم به من نعمه** » (١)

ومن أكبر العلامات الدالة على محبة العبد لربه : الطاعة ، قال الشاعر الصوفى :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ∴ هذا لعمرى فى القياس بديعُ
لو كان حبك صادقا لأطعته ∴ إن المحب لمن يحب مطيعُ

وقال الآخر :

جمالك فى عينى وذكرك فى فمى ∴ وحبك فى قلبى فأين تغيبُ

وحب الله ـ تعالى ـ لعبده أفضل من حب العبد لربه ، كما أن ذكر الله ـ تعالى ـ لعبده أفضل من ذكر العبد لربه ...

أما سبب حب الله ـ تعالى ـ للعبد فهو اتباع عبده لنبيه ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ قال تعالى : (**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله**) (٢) .

وأما سبب ذكر الله ـ تعالى ـ لعبده فهو ذكر عبده له ، قال ـ تعالى ـ :

(**فاذكرونى أذكركم**) (٣) وقال ـ سبحانه ـ : (**ولذكر الله أكبر**) . (٤)

قال بعضهم : المعنى : ذكر الله لعبده أكبر من ذكر عبده له . ا هـ .

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) آل عمران / ٣١ .
(٣) البقرة / ١٥٢ .
(٤) العنكبوت / ٤٥ .

وبيان ذلك : أن العبد يذكر ربه وهو مفتقر إليه ، والله ـ تعالى ـ يذكر عبده وهو غنىّ عنه .

ومعنى ذكر العبد لربه أن يقول : لا إله إلا الله ، سبحان الله ... ... وهكذا .

ومعنى ذكر الله لعبده أن يغفر له ويرحمه ، وأن ينظر إليه بعين العناية واللطف ، فإن كان فقيراً أغناه ، وإن كان مغلوبًا نصره ، وإن كان مريضًا شفاه ، وإن كان بعيداً قرّبه ، ومن وراء ذلك ما يكلّ عنه اللسان من الأسرار والأنوار للذاكرين الله كثيرًا والذاكرات ، جعلنا الله تعالى منهم . آمين ...

والمحبة لا تنقص حبة ، وإن قُطع صاحبها فى معارك الحياة أو جرح ... والصحابة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ كانوا لا يزدادون بما يحصل لهم من الجراحات إلا إيمانًا وتسليمًا ، قال الله تعالى فى كتابه العزيز :

(إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالايرجون)[1] .

فأثبت لهم الرجاء العظيم مع الألم .

وفى الفتوحات المكية حـ٢ / ٣٥٩ :

« قالت المُحِبة : لو قطعتنى إربًا إربًا لم أزدد فيك إلا حباً » اهـ .

يعنى : أنه لا ينقص حبنا لذلك ، وهو قول المرأة المحبة ، يقال إن هذا قول رابعة العدوية المشهورة ، التى أربت على الرجال حالاً ومقامًا ، وقد فصّلت وقسّمت ـ رضى الله تعالى عنها ـ وهو أعجب الطرق فى الترجمة عن الحب :

أحبك حبيْن : حب الهوى ∴ وحبًّا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى ∴ فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له ∴ فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ∴ ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

---

(١) النساء / ١٠٤ .

وفى هذا أيضًا تقول جارية عتّاب الكاتب :

يـا حبيـب القلـوب من لى سـواكـا ∴ ارحم اليـوم زائرًا قـد أتـاكـا
أنت سـؤلى وبغيتـى وسـرورى ∴ قـد أبى القلب أن يحبَّ سـواكـا
يـا منـائى وسيـدى واعتمـادى ∴ طـال شـوقى متى يكـون لقـاكـا
ليس سـؤلى من الجنـان نعيمًـا ∴ غيـر أنى أريـدهـا لأراكـا

وفى هذا المقام يقول محب آخر :

نعيمك أو عـذابـك لى سـواء ∴ فحبك لا يحـول ولا يـزيـد
فحبّى فـى الـذى تختـار منى ∴ وحبك مثل خلقـك لى جـديـد

وجاء فى الفتوحات المكّية حـ ٣ ص ٣٥٨ :

« حكى أن خطّافًا راود خطّافة يحبها فى قبة لسليمان ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ وكان سليمان ـ عليه السلام ـ فى القبة ـ وهو يقول لها : لقد بلغ بى حبُّك أن لو قلتِ لى : اهدم هذه القبة على سليمان لفعلت ، فاستدعاه سليمان ـ عليه السلام ـ وقال له : ما هذا الذى سمعت منك ؟ فقال : يا سليمان : لا تعجل علىّ ـ إن للمحب لسانًا لا يتكلم به إلا المحبُّون ، وأنا أحب هذه الأنثى ، فقلت ما سمعت ، والعشاق ما عليهم من سبيل ، فإنهم يتكلمون بلسان المحبة لا بلسان العلم والعقل . فضحك سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ ورحمه ، ولم يعاقبه » ا هـ .

وفى الفتوحات المكية للشيخ الأكبر ابن عربى رضى الله تعالى عنه :

« ومما حفظته عن مشايخى للسيدة رابعة العدوية :

كلهم يعبـدوك من خـوف نـار ∴ ويـرون النجـاة حظـاً جـزيـلاً
أو بأن يسكنـوا الجنـان فيحظـوا ∴ بنعيم ويشـربـوا سلسبيـلا
ليس لى فى الجنـان والنـار حظ ∴ أنـا لا أبتغى بحِبى بـديـلا
قـد تخللت مـوضع القلب منى ∴ ولـذا سمى الخليل خليـلا

وكلام الشيخ محيى الدين ـ رضى الله تعالى عنه ـ يترجم عن أحوال المحبين ، وصفة الحب كالذوق فى اللسان ، فيذوق به حلاوة العسل الحلال المملوك لآكله ، وحلاوة العسل المغصوب ، فمن وجّه حبَّه إلى محرم فهو محب ، ومن وجه حبه إلى حلال فهو محبّ ، وأعلى درجات الحب ما كان لله ورسوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وهو بغية السادة الصوفية ، رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين :

يقول سلطان العاشقين سيدى عمر بن الفارض ـ رضى الله تعالى عنه ـ :

أحبة قلبى والمحبة شافعى ∴ لديكم إذا شئتم بها اتصل الحبلُ

ويقول أيضًا :

وإن ذكِرتْ فى الحىّ أصبح أهله ∴ نشاوى ولا عارٌ عليهم ولا إثمُ

ويقول أيضًا :

وإن خطرتْ يومًا على خاطر امرئٍ ∴ أحلت به الأفراح وارتحل الهمُّ

لأن هؤلاء لا همّ عندهم ولا غمّ ولا حزن فى حضرة الحب والمشاهدة ، قال ـ تعالى ـ (**فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون**)(١)

ففرحهم بالله أنساهم ما سواه ، وتلذذهم بذكره زهَّدهم فى كل لذة فانية ، أو زينة خالية ، أو ظل زائل ، يقول ابن الفارض ـ رحمه الله ـ :

أشاهد معنى حسنكم فيلذُّلى ∴ خضوعى لديكم فى الهوى وتذلّلى

---

(١) يونس / ٥٨ .

فهم يتلذذون بالخضوع والتواضع والانكسار والزهد والعزلة والشوق والتذكار والوجد والبكاء، والسماع للقرآن والمدائح النبوية، وزيارة المشاهد الطيبة، كالكعبة، ومقام سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وعرفات، والمشعر الحرام، ومنى، وزيارة المصطفى ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ، والصلاة فى الروضة الشريفة، وكل ما يقدح زناد الشوق، ويبعث تذكارًا شيقًا للروح لأنها مُحِبة لله تعالى بفطرتها، غير أن هذا الحب يحتاج إلى قدح كالزناد، لكنه يحتاج إلى استعداد عظيم وجهاد كبير، ويقال لغير المحب الصادق ما قاله ابن الفارض ـ رحمه الله تعالى ـ :

أتيت بيوتًا لم تُنَلْ من ظهورها ∴ وأبوابها عن قرع مثلك سُدَّتِ

وقوله أيضًا ـ رحمه الله تعالى ـ :

تعرض قوم للغرام وأعرضوا ∴ وخاضوا بحار الحبّ دعوى فما ابتلُّوا

ويقول سيدى عبد الرحيم البرعى ـ رحمه الله تعالى ـ :

خلّ الغرام لصبٍّ دمعُه دمُه ∴ حيران توجده الذكرى وتعدمهُ
ما الحب إلا لقوم يعرفون به ∴ قد مارسوا الحبّ حتى هان معظمهُ

ويقول أيضًا :

أنسمة طيب أم صبا طَيبة هبَّا ∴ فأنعش قلبى للحبيب وقد لبَّى
وهيهات ما كل النسيم حجازيًا ∴ ولا كل نور يملأ الشرق والغربا

ويقول الإمام البوصيرى ـ رحمه الله تعالى ـ :

أمِنْ تذكر جيران بذى سَلَمِ ∴ مزجْت دمعًا جرى من مقلة بدمِ

وهكذا أهل الحب لهم فى حبهم جواهر المعانى ودُرَر البيان، وعبارات تعبر عن حبهم وشوقهم وحالهم ما بين ناظم وناثر ...

الحديث الثانى :

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

(إن الله ـ تعالى ـ قال : من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرَّب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرَّب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن : يكره الموت وأنا أكره مساءته) رواه البخارى .

★ ★ ★ ★

اعلم يا عبد الله أن الحق سبحانه يستحيل عليه أن يكون منفصلا عن شىء أو أن يكون شىء منفصلا عنه ، أو يتصل بشىء أو يتصل به شىء ، ولايدنو من شىء دُنُوَّ حسٍّ ، بل تنزه سبحانه عن جميع صفات الحوادث .

اذا علمت ذلك فاعلم أن ما كان متشابها من الآيات والأحاديث النبوية فللعلماء فيه رأيان :

السلف يؤمنون به مع صرف ظاهره عما لا يليق بالحق سبحانه وتعالى .

والخلف يؤولون ، قال سيدى إبراهيم اللقانى صاحب الجوهرة رضى الله عنه :

وكل نص أوهم التشبيها ∴ أوِّله أو فوِّض ورُم تنزيها

وهذا الحديث من قبيل المتشابه .

ومعنى **(كنت سمعه)** يعنى يسمع عن الله لا عن الغير ؛ لأن الغير عنه غاب .

ومعنى **(كنت بصره الذى يبصر به)** يبصر فعل الله مكسوا ببديع صنعته وباهر حكمته يذكره الليل إذا أظلم ما أغفله الغافلون ، والصبح إذا تنفس ما

يلهوبه الـلاهون ، وتذكره الأرض إذا كسيت بكسائها الأخضـر خضرة الجنة ، وتذكره الثمار بـاختلاف ألوانها غاية المنة ، ويـذكره اهتزاز الأشجار إذا هبت الـرياح ، اهتـزاز الأرواح للقـاء الحق سبحانـه بـالعشى والصبـاح ، ويذكـره اختلاف الألوان باختلاف الأرض فى طبقاتها ، وتذكره فصول الزمان اختلاف الكواكـب فى دوراتها ، ولا يـرى شيئا إلا ويـرى الله قبله ، ولا يـرى لمخلوق فعلا ، غريقـا فى بحر (**هل من خـالق غير الله**[1]) مستبشرا ببشرى (**الله خالق كل شيء**[2]) مفكـرا فى التفصيل والبيان فى محكم القـرآن (**والله خلقكم وما تعملون**[3]) .

ولما كان ظاهر هذا الحـديث يستحيل عليه تعالى أوّلته ، وقلت فيه بفضل ربى تعالى :

« **كنت سمعـــه ... الخ** » أى كـان حبى فى سمعـــه وبصـره وجميع جوارحه ؛ لأن الحب القلبى إذا زاد سرى إلى جميع الجوارح ، وزيادته تكون بسبب حب الله تعـالى لعبـده الـذى يجعـل الحب الإلهى سـاريـا فى جميع أجـزائه ، فالمـدار على حب الله تعـالى لك ، لا على حبك له ، وبحبك لـه عبـدته ، وبعبـادتك لـه أحبك ، فـلا تنس الحب وأسبابـه ، واجعل نـوافلك مدامك حتى تبصر مرامك ، قال ابن الفارض رضى الله عنه :

★ ونفلى مدامى والحبيب منادمى ★

وهكذا توارد الأحوال عند تزاحم مقامـات الرجال ، فلا تهملن جوادك عند السباق ، ولا يعوقنك عن نهوضك عائق سباق .

---

(١) فاطر : ٣ .

(٢) الزمر : ٦٢ .

(٣) الصافات : ٩٦ .

الحديث الثالث

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال :

« أولياء الله الذين إذا رُءوا ذكر الله »

أخرجه السيد أحمد بن ادريس فى روح السنة ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وذكر أنه رواية الحكيم عن ابن عباس .

★ ★ ★ ★

(**إذا رءوا ذكر الله**) لأن فطرة الإنسان إذا رأى وليا من أولياء الله تعالى ذكّره الله تعالى بحاله أو بمقاله ؛ لأن الروح تعرف أولياء الله تعالى سواء كانوا أحياء أو أمواتا ، ولها شعور عند ملاقاة أرواحهم فى عالم الدنيا أو فى عالم البرزخ ، وربما تكون المعرفة من الجانبين إن كانا وليين .

(**إذا رءوا ذكر الله**) وذلك لتعلق أرواحهم بالله تعالى وقربهم ، فكان مثلهم كحامل المسك إذا دنوت منه شممت رائحة طيبة ذكرتك بصاحب الرائحة الزكية ﷺ ، ولذلك حينما تشم تقول : اللهم صل على سيدنا محمد .

كذلك الأولياء يذكرونك الله تعالى بما لديهم من جواذب جذبتهم ، وروائح روحتهم ، وعرفان عرفهم ، وقرب عزهم ، ونور سطع منهم ، وسر سرى إليهم ، وفيض فاض عليهم من معدن الفيوضات ، وكلام تسمعه كالمدام ، تارة تراهم صفوفا على الأقدام ، وتارة تراهم يقظة وتارة تراهم فى المنام ، قطعوا عالم الحس فانزوى أمامهم الحس ، ومُزقت لهم العوائد ، فإن زرتهم على أى حال قبل أو بعد نلت غالى الموائد ، أنفاسهم عطرية ، ونظراتهم روحانية ، وأحوالهم محمدية ، جليسهم لا يشقى ، ومريدهم بهم يرقى .

الحديث الرابع

عن أبى الحسنين أمير المؤمنين سيدنا على ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : قال الله تعالى :

« إنى أنا الله لا إله إلا أنا ، من أقرّ لى بالتوحيد دخل حصنى ، ومن دخل حصنى أمِن من عذابى » .

رواه الشيرازى ، ونقله الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير .

وفى مسلسل السمبلى المدنى عن جعفر الصادق عن محمد الباقر عن على زين العابدين عن الحسين بن على عن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : (**حدثنى جبريل عليه السلام قال : يقول الله تعالى : لا إله إلا الله حصنى ، ومن قالها دخل حصنى ، ومن دخل حصنى أمن من عذابى**) .

★ ★ ★ ★

أقول بفضل الله تعالى وتوفيقه والهامه قول المتبرىء من حوله وقوته إلى حول الله وقوته فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم : يؤخذ من هذا الحديث أشياء :

الأول : أن من قالها [1] بلسانه وقلبه دخل حصن الله ، أى حفظه وكلاءته سبحانه وتعالى .

الثانى : أن قائلها يأمن عذاب الله تعالى فى الدنيا والآخرة إلا بحق الاسلام فإن قتل قتل ، وإن زنى إن كان محصنا رجم وإن كان بكرا جلد مائة جلدة وغُرِّب سنة ، وإذا سرق قطعت يده ، وإذا شرب الخمر جلد ثمانين جلدة ، وإذا قذف انسانا جلد ثمانين جلدة بأن قال إن فلانا كذا ووصفه بوصف لا

---

(١) أى : كلمة التوحيد .

يليق كأن وصفه بالزنا ولم يأت بأربعة شهداء فيجلد ثمانين جلدة حد القذف فإن لم يأخذ هذه العقوبات فى الدنيا أخذها يوم القيامة ما لم يتب توبة نصوحا ـ لأن التوبة تكفر كل شىء حتى القتل ــ أو يحج ؛ لأن الحج يكفر جميع الخطايا والذنوب إلا حقوق الناس إذا رجع من الحج وجب عليه أن يردها إلى أصحابها ، وأما ما عليه من فرائض كصلوات وصيام وزكاة فيجب عليه قضاء هذا كله .

والقائل بأن الفرائض المتروكة عمدا لا تقضى قول مخالف للمذاهب الأربعة ، ففى موطأ الإمام مالك رضى الله عنه ـ قال عليه الصلاة والسلام : **(من نسى صلاة فليصلها متى ذكرها ثم تلا قوله تعالى : وأقم الصلاة لذكرى)** أخرجه البخارى وغيره .

قال العلماء : إذا كان الناسى مأمورا بالقضاء فمن باب أولى العامد ، وعند المالكية رضى الله عنهم : من عليه صلوات كثيرة يجب عليه قضاؤها ، وأقل ما يؤديه كل يوم خمسة أوقات ، فإذا قضى أقل من خمسة أوقات كان آثما .

الشىء الثالث : أن الذى يذكر (لا إله إلا الله) يلزم أن يلاحظ معنى الحديث (**أمن من عذابى**) ويحدث نفسه بالأمان والأمن ما دام يذكر .

الشىء الرابع : أنه يلزم من الأمن من العذاب البعد عن أسبابه وهى المعاصى ، والتوفيق إلى موانعه وهى الطاعات ، فليبشر ذاكرها بالبعد عن المخالفات وبالتوفيق إلى الطاعات ، ولذلك كان ذكرها ينقل النفس من أمارة إلى لوامة .

الحديث الخامس

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » .

رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأحمد

★ ★ ★ ★

(**الإمام العادل**) هو الحاكم الذى قام بحقوق الخالق والخلق حق القيام ، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب أمام الملك العلام ، ورفع راية العدل ، وقمع راية الظلم والظلام ، فكان فى الدنيا جندا لله وفى الآخرة فى جنات النعيم .

(**والشاب الذى نشأ فى عبادة ربه**) يتغلب على شهوته إلى عبادة ربه ، ويباهى الله تعالى به الملائكة الكرام ، يقول : انظروا يا ملائكتى كيف خالف عبدى هواه وشهوته وفرّ إلىّ من الحرام؟ وإذا كبر سنه كتب الله له ثواب ما كان يفعله شابا قبل كبو سنه والعجز عن القيام .

(**والرجل الذى قلبه معلق بالمساجد**) هو الذى يصلى الصلوات الخمس فى جماعة ، ولو شكى جسمه أتعابه وأوجاعه ، يأتى إلى المسجد مهرولا تاركا أشغاله ومتاعه ، فهنيئا له يفوز بعد تعبه وجهده بالنعيم المقيم .

(**والرجلان اللذان تحابا فى الله**) بقلب سليم واخلاص ، وتوقير واحترام ، كلاهما يساعد صاحبه على أمر دينه من غير غش ولا انفصام ، كلاهما يفرح لفرح صاحبه ويحزن لحزنه ، ويقدمه على نفسه عند

الشدائد والآلام ، ولا يترك صاحبه عند الشدائد ويقف متهكما عليه كفعل المخادع ، والمحبة فى الله هى أن ترى إنسانا يعمل عمل المحب لله وأنت من أجل هذا العمل تحبه فبذلك تسمّى محبا فى الله .

(**ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال**) إلى نفسها ليزنى بها ، فذكر الرجل النار وعذابها

(فقال : إنى أخاف الله) وحرّم على نفسه اقترابها ، وسجن نفسه الأمارة بالسوء وقفل عليها بابها ، فليبشر بسلامة نفسه فى الدنيا من البلاء ، وفى الآخرة من عذاب الجحيم .

(ورجل تصدق بصدقة فأخفاها) خشية السمعة والرياء ، واكتفى بمن يعلم ما فى الأرض كما يعلم ما فى السماء (**حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه**) من العطاء ، فنال من الله الفوز والسعادة والتكريم ، فجاهد نفسك لتكون مظللا بهذا الظل الكريم .

(**ورجل ذكر الله خاليا**) وحده فى الخلوات (**ففاضت عيناه**) بالدموع من جلال الله وأسفا على ما فات ، فتنزلت عليه من ربه سحائب الرحمات والبركات ، ويوم القيامة : (**سلام قولا من رب رحيم**[1])

وفى هذا الحديث :

تعريف وتوجيه إلى أن يكون الإنسان عادلا فى جميع أحواله ، فالعدل هو ضد الظلم ، فمن ظلم نفسه بالمعاصى فليس بعادل ؛ لأن العدل لا يختص بالإمام وحده ، وإنما هو واجب على كل مسلم ومسلمة .

ويدعو هذا الحديث إلى توجيه الشباب إلى العبادة ؛ لأن الشيطان يقول لهم : افعلوا ما شئتم فإذا كبرتم فعليكم بالتوبة والعبادة (**يعدهم ويمنيهم**[2]) فمن أجل ذلك النبى ﷺ رغب الشباب فى العبادة والطاعة .

---

(١) يس : ٥٨

(٢) النساء : ١٢٠

وأيضا يحث النبى ﷺ على أن تكون المعاملة بين الخلق لله فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا ينافق له ولا يحبه إلا لله الذى خلقه .

ويوجهنا إلى الخوف من الله تعالى وإلى مراقبة الله تعالى لأنه معنا حيثما كنا وأنه يسمع كلامنا ويرانا ، وفى الحديث الصحيح من دعائه ﷺ : « **اللهم يا من يسمع كلامى ويرى مكانى** » فإذا كان ذلك كذلك فيجب علينا أن نراقبه فى الخلوة ، وأن نراقبه مع الناس ، فلا نفعل شيئا يغضبه .

ويحثنا النبى ﷺ على الانفاق فى سبيل الله على الفقراء والمساكين وعلى المجاهدين فى سبيل الله ، وخصوصا الذين يجاهدون ويقاتلون أشد الأعداء إلى المسلمين وهم اليهود ، فيجب علينا أن نساعد اخواننا المجاهدين وأن نشجعهم ونبعث فيهم الروح المعنوية ، وأن نعلمهم بأن هذا الجهاد فيه شرف الدنيا وشرف الآخرة .

امام وشاب بالمساجد قلبه ∴ واثنان فى شأن الإله تحببا
عفيف لدى ذات الجمال ومنفق ∴ ولله بالدمع الهتون تقربا

فهنيئا لمن اتصف بهذه الصفات أو بواحدة منهن فإنه يكون يوم القيامة تحت ظل عرش العزيز الغفار .

الحديث السادس

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال ـ ﷺ ـ :

« إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ابن آدم ، ولو أن ابن آدم لم يَخَفْ غير الله لم يسلط عليه أحد ، وإنما وُكِلَ ابن آدم لمن رجا ابن آدم ، ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله لم يكِلْهُ الله إلى غيره » . (١)

★ ★ ★ ★

قلت : إن الخوف من الله ـ عز وجل ـ صفة من أجلّ الصفات ، اختص الله بها رسله وأنبياءَهُ ، وخاصته من أوليائه ...

قال عليه الصلاة والسلام : **« أعلمكم بالله وأخوفكم من الله أنا »** (٢)

وقال ـ تعالى ـ : **(يخافون ربهم من فوقهم)** (٣)

ولمَّا كانت الملائكة الكرام لا يخافون إلا من الله آمن خوفهم من سواه ، كما آمن خوف أنبيائه ورسله وخاصته وأوليائه ، ولمَّا كان الخوف من الله من أعظم الصفات كافأ الله صاحبه فى الدنيا بالأمن وعدم الخوف من غير الله ، وعاقب الخائف من غيره بأن عجَّل له العقوبة فى الدنيا بتسليط من يخافهم من غير الله عليه ...

ومما يوضح لنا ذلك : ما ذكره الصوفية من أن رجلاً زار رجلاً صالحاً بالبادية فبات عنده ، فلما انتبه من نومه ذهب ليتوضأ من عينٍ بجوار مسكن الصالح فلقى الأسد عندها ، فجاء مهرولاً مرعوبًا ، فقال له الرجل الصالح : ما شأنك ؟ قال : إنه الأسد ! فقام الرجل الصالح وذهب معه إلى الأسد ،

---

(١) رواه البيهقى فى السنن ، والسيوطى فى جمع الجوامع .

(٢) رواه الترمذى ولفظه : (أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه) .

(٣) النحل / ٥٠ .

فقبض على أذنه وقال له : أما نهيتك عن التعرض لضيوفى ؟ ! ثم انصرف الأسد ! ! فقال الرجل الصالح للضيف : خفتم من غير الله فأخافكم الأسد ! وخفنا من الله فخاف منا الأسد ...

وإذا اتصف العبد بهذه الصفة ـ وهى صفة الخوف من الله وحده لا شريك له ـ دخل فى هذا الصون الإلهى الذى أشار إليه سيدى الشفا السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ بقوله :

« وصنِّى يا إلهى بصون حجاب العزة الأحمى ، خلف سرادقات العظمة والكبرياء ، فى حضرة الذات عن جميع الأغيار والمخالفات ، حتى لو طلبتنى جميع البلايا كلها طلبًا حثيثًا لم تدركنى ؛ لكونى مصونًا عندك فى حضرةٍ لا يتصور فيها بلاء » .

هذا الصون فى حضرة الأمن الإلهى ، على بساط القرب الربانى ، قال تعالى : (**وآمنهم من خوف**)[1] أى : لما خافوا منه وحده لا شريك له ، آمن خوفهم من غيره ، لمَّا علم أن الغير يطالبهم أدخلهم فى حفظه وضرب عليهم سرادقات العظمة والكبرياء ، وهى التى يُرَى بها صاحبها مجلاً موقرًا ...

وفى الحديث : « **اللهم أرنى نفسى فى عينى صغيرًا ، وفى أعين الناس كبيرًا** »[2] (**اللهم اجعلنى شكورا ، واجعلنى صبورًا ، واجعلنى فى عينى صغيرًا ، وفى أعين الناس كبيرًا**)

رواه البزار عن بريدة

وفى الحديث : « **اللهم رب لك فذلِّلنى ، ولك فحبِّبنى ، وفى أعين الناس فعظِّمنى**»

---

(١) قريش / ٤ .

(٢) روى نحوه البزار عن بريدة .

وفى هذين الحديثين الإشارة إلى سرادقات العظمة والكبرياء ...

وقد أشرنا إليك يا أخانا فى الله ـ تعالى ـ بهذه الإشارة ، وإن لم نَفِ بالعبارة ، ولمَّا علم أنَّ الغير مطالبهم صانهم خلف حجاب العزة الأحمى ـ قال تعالى : (**وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا**) [1].

وهذا الحجاب لعله الذى أشار إليه سيدى أحمد بقوله : (حجاب العزة الأحمى) يناله[2] بطريق الوراثة المحمدية ، وهذا الحجاب مع منعته وحصانته موصوف بالعزة ـ وهى الحفظ من الأعداء مع الغلبة والظهور عليهم ـ قال سيدى عبد القادر الجيلانى ـ رضى الله عنه ـ فى دعائه (فمن اعتز بعزتك فهو عزيز لا ذلّ معه ، ومن اعتزّ بدون عزتك فهو ذليل) .

والخوف من زوال الرزق لامن الرزاق يؤدى إلى زواله والهمّ فى تحصيله وهو عيب عند الصوفية كالخوف من الخلق ، ولهذا يقول سيدى على أبو الحسن الشاذلى ـ رضى الله عنه ـ :

« اللهم إنى أعوذ بك من خوف الخلق ، وهمّ الرزق ، واقرب منى قربًا » . فطلب القرب بعد زوال الخوف من غير الله ؛ لانهما لا يجتمعان . قال سيدى أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ :

(وأوقفنى وراء الوراء بلا حجاب عند اسمك المحيط فى مقام السماع العام حتى تطربنى لذة المكالمة الإلهية) ...

قلت : ولا يكون الطرب إلا بعد زوال الخوف عند سماع المتكلم ، ولا تحصل المكالمة مع الخوف من الغير ؛ لوجود المشاركة للغير فى القلب

---

(١) الإسراء / ٤٥ .

(٢) أى : العبد .

ولهذا يقول الله ـ عز وجل ـ : (**إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا**)[1]

فالنبى ـ ﷺ ـ ينهى صاحبه أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ عن الخوف من غير الله المسبب للحزن ، ثم ينقله إلى معية الله المسببة للأمن والفرح فكأن النبى ـ ﷺ ـ يقول لسيدنا أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ لا تخف من غير الله ؛ لأننا فى حضرة الله ـ تعالى ـ ...

ولمَّا رأى سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ الحية وخاف منها ، قال الله ـ تعالى ـ له : (**لا تخف إنى لا يخاف لدىّ المرسلون**)[2] .

أى : لا خوف من غيره فى حضرته وعند مشاهدته ...

قال سيدى أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ : « حتى يخاف سطوتى كلُّ ناظرٍ إلىَّ بسوء » .

قلت : وهذا الوصف لا يتم للعارف إلا بعد عدم الخوف من غير الله ـ تعالى ـ ، والتمكن فى الخوف من الله ـ تعالى ـ ، فيحاط من الله بجلال يرعد كل ناظر إليه بسوء ، ومن ذلك ما حصل للرجل الذى عندما دخل على النبى ـ ﷺ ـ صارت ترتعد فرائصه ، فقال له النبى ـ ﷺ ـ : «**هوِّن عليك فإنى لست بملِك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد** » .[3]

وكما قال سيدى أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ : (**فأجد لذة الوحى القرآنىّ الإلهىّ منّى إلىّ**) ...

قلت : ولا تحصل تلك اللذة إلا بعد عدم الخوف من غير الله تعالى فيطمئن القلب ، ويحصل الأنس والتلذذ ...

والخوف من غير الله ــ تعالى ـ لا يحصل بالله ـ تعالى ــ ؛ لأنه فى حضرة

---

(١) التوبة / ٤٠ .

(٢) النمل / ١٠ .

(٣) رواه ابن ماجة . والقديد معناه : اللحم المجفف .

أنس وقرب وحبّ ، مستوحش من غيره ـ سبحانه ـ ، مستأنس به ، كما قال سيدى ابن الفارض ـ رضى الله عنه ـ :

... واستأنست بالوحش إذ كانت من الإنس وحشتى

قلت : أما قوله : استأنست بالوحش ، فعلى غير ظاهره ؛ لأنه لم يستأنس بغير الله ، وهو أراد : وسكنت بصحراء الوحش فرارًا من أن يميل القلب إلى الأنس بالإنس ، ومن نفر من أنس الإنس فمن الأولى أن يفرَّ من غيره ، وفى هذا تصريح بعدم الخوف من غير الله ، ولذلك سكن الرجل الصالح بجوار الوحوش ولم يخش بأسهم ، وقد تولى الله حفظه ، مع العلم بأن الشرع لا يبيح لأحد أن يذهب إلى غابات الوحوش ، ولكن الذى تولّى سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ فى غيابات الجبّ ، ونجّى سيدنا يونس ـ عليه السلام ـ من الظلمات ، ونجّى خليله ـ عليه السلام ـ من النار ، وكتب السلامة لحبيبه ـ ﷺ ـ فى الغار ، قادر ـ سبحانه وتعالى ـ على أن يحفظ أحبابه إذا ساقهم الحال إلى الصحراء والجبال ...

حكى الغزالى ـ رحمه الله ـ فى إحيائه أن رجلاً من الصالحين من أرباب الأحوال ، كان يمشى بالصحراء ، فسقط فى حفرة ، ولم يستطع الخروج منها ، فمرَّ جماعة ، فاستحيا من الله ـ تعالى ـ أن يستغيث بهم ، وبعد قليل رأى الرجل يدًا مُدت إليه ، فتعلّق بها ، فلما خرج من الحفرة إذا به يفاجأ بأن الذى مدَّ إليه يده هو الأسد ، ألهمه الله ـ سبحانه ـ أن ينقذ الرجل من ورطته ، ثم انصرف الأسد لحال سبيله ، فقال الرجل : سبحان من أنجانى من الهلاك بالهلاك ! .

وهذا الرجل الصالح إنما وصل إلى هذه المنزلة ، وأكرم بهذه الكرامة لكونه لم يخف من غير الله لرسوخ حبّ الله فى قلبه ، فيصدق عليه قول الله ـ تعالى ـ : (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[1]

---

(١) يونس / ٦٢ .

لأنهم خافوا من الله لا من غيره ، والخوف إنما يكون من الغير لمشاهدة الغير ...

(**ولا يحزنون**) أى : لأنهم شاهدوا حبيبهم معهم ، وإنما يكون الحزن بحجب الحبيب .

ولمَّا فسَّر سيدى أبو الحسن الشاذلى ـ رضى الله عنه ـ قوله ـ تعالى ـ : (**إن الشيطان لكم عدوّ فاتَّخذوه عدوًّا**)[1] قال : « فهم قوم من الآية : وإن الرحمن لكم حبيب فاتخذوه حبيبًا ، فاشتغلوا بالحبيب فكفاهم الحبيب مضرة العدوّ » .

قلت : وذلك لعدم خوفهم من العدو ، وأنسهم ووثوقهم بالحبيب ، ولما سمعوا نداء الحق ـ سبحانه وتعالى ـ : (**فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين**)[2] . وهنا نداء للعوام والخواص :

فنداء الخواص : إن كنتم مؤمنين بى ، وشاهدين لى ، ومحبين لى ؛ لأن الخوف من غيرى لايجتمع مع تلك الصفات ...

قال سيدى على وفا : « مَن وجدك فما فاته شىء ، ومَن فقدك فقد فاته كل شىء ، جهلت نفسٌ لم تَركَ عليها رقيبًا ، وخسرت تجارة رجل لم ينل من حبك نصيبًا ، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل ، وأنت حسبى ونعم الوكيل »

---

(١) فاطر / ٦ .

(٢) آل عمران / ١٧٥ .

الحديث السابع

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ .

«من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رُشده »

أخرجه البخارى وغيره

★ ★ ★ ★

التفقه فى الدين : أن يتعلم الرجل الواجبات التى أوجبها الله عليه ليفعلها ، وأن يعلم المحرمات التى حرمها الله تعالى حتى يتجنبها ، فمن فعل الواجب كما ينبغى ، وانتهى عن الحرام كما ينبغى فهو من أهل الجنة .

والفقه فى اللغة هو الفهم ، وعرفه العلماء بأنه الأحكام الشرعية المكتسبة من أدلتها التفصيلية .

فالقرآن والسنة : دليل إجمالى ، وقوله تعالى : **(وأقيموا الصلاة**[1]**)** دليل تفصيلى ، وقوله ﷺ **(إنما الأعمال بالنيات**[2]**)** دليل تفصيلى يؤخذ منه وجوب النية فى الأعمال كلها ، ومن لم يعلم الأحكام وجب عليه تقليد إمام من المجتهدين الذين استنبطوا الأحكام التفصيلية من أدلتها الإجمالية .

وأما من يقول : لا أتبع الأئمة فهو أجهل من حمار أم عمرو :

إذا ذهب الحمار بأم عمرو ∴ فلا رجعت ولا رجع الحمار

وقد قال الإمام إبراهيم اللقانى فى منظومته (جوهرة التوحيد) :

فما لك وسائر الأئمة ∴ كذا أبو القاسم هداة الأمة
فواجب تقليد حبر منهم ∴ كذا حكى القوم بلفظ يفهم

---

(١) النور : ٥٦ .

(٢) رواه البخارى ومسلم عن عمر رضى الله عنه .

قال لى رجل : أنا لا أقلد مذهبا بل أسير على الكتاب والسنة فقلت له : أسألك بالله : هل تحفظ القرآن والسنة ؟ قال : لا. ليس بواجب قلت له : أنت إذن تدخل فيمن قال الله فيهم **(ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا**[1]) فقد افتريت على الله تعالى، وادعيت أنك تحفظ كتابه وأنت جاهل به ، وافتريت على النبى ﷺ وادعيت أنك تعمل بالسنة وأنت جاهل بالسنة . وبعض الناس يتكلم بجرأة على الله تعالى لأنه احتجب عنهم ، ولو رأوه لتدكدكوا كالجبل .

ويجب أن تعتقد فى ربك عقيدة صحيحة تتعلمها من العلماء ، وتعرف نبيك ﷺ وتعرف قدره ومقداره عند الله تعالى .

---

(١) الأنعام : ٢١ ، ٩٣ .

الحديث الثامن

عن أبى واقد الليثى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة : أما أحدهم فأوى إلى الله ـ تعالى ـ فآواه الله ... وأما الآخر فاستحيا ، فاستحيا الله منه ... وأما الآخر فأعرض ... فأعرض الله ـ عز وجل ـ عنه**[1])

أخرجه مسلم والترمذى والنسائى

★ ★ ★ ★

قال شراح الحديث : سمَّى النبى ﷺ مجلس العلم : مجلس الله ، وجعل المعرض عنه أعرض عن الله . وهذه قيمة عظيمة لمجالس العلم وللعلماء .

فعليكم أيها الناس بسماع العلم ومذاكرة العلم ؛ لأنه هو النور الذى يسترشد الإنسان به ، قال سيدنا على رضى الله عنه وكرم الله وجهه : (الناس موتى وأهل العلم أحياء) وما علينا إلا أن نجتهد فى القرآن العظيم ما استطعنا أن نقرأ منه ولو شيئا يسيرا ؛ لأن الإنسان إذا دفن فى قبره وكان حافظا للقرآن أضاء له نور كالشمس ، فإن لم يحفظ القرآن أضاء له نور بقدر ما يحفظ من القرآن ، وقال عليه الصلاة والسلام : (**حملة القرآن أهل الله وخاصته**[2])

---

(١) **سبب هذا الحديث** : أنه بينما النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ جالس فى المسجد ومعه القوم إذ قدم ثلاثة نفر ، فلما رأوا القوم أقبل اثنان فوقفا عنده ... فأما أحدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر فلما فرغ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مما كان مشتغلاً به قال الحديث ...

ونسبة الإيواء والاستحياء والإعراض إلى الله ـ سبحانه ـ من ضروب المجاز من باب المشاكلة والمقابلة ... والمراد لوازمها على مذهب الخلف أهل التأويل ... والمعنى : أما أحدهم : فانضم إلى مجلس رسوله فأثابه الله بفعله بأن ضمه إلى أهل رضوانه وشمله برحمته وإحسانه ...

وأما الثانى : فترك المزاحمة حياءً فعفا عنه ولم يعاقبه عما صدر منه . .

وأما الثالث : فقد باء بسخط من الله وإعراض عنه لما أعرض عن مهبط الرحمة ومجلس الهداية ...

(٢) رواه الإمام أحمد وأبو نعيم فى الحلية عن معاذ .

وقال عليه الصلاة والسلام: «رحم الله خلفائى قالوا : ومن خلفاؤك يا رسول الله ؟ قال : الذين يأتون من بعدى يبلغون الناس سنتى [1] »

وقال عليه الصلاة والسلام : « نضر الله امرءا ــ أى نوّر وجهه ــ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها » [2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب [3]) فعليكم أيها الناس بالعلم فإنكم تخلصون به من ظلمات الجهل ، وبه تعرفون ربكم ، وبه تعرفون شرعكم

أوحى الله تعالى إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام : (يا إبراهيم إنى عليم أحب كل عليم [4]) .

---

(١) روى بلفظ قريب منه فى الأوسط للطبرانى .

(٢) رواه أحمد والترمذى وابن حبان .

(٣) رواه أبو نعيم فى الحلية .

(٤) ذكره ابن عبد البر.

الحديث التاسع

« عن مالك عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخّر الصلاة يوما فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره أن المغيرة بن شعبة أخّر الصلاة يوما وهو بالكوفة ، فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري فقال : ما هذا يا مغيرة ؟ أليس قد علمت أن جبريل نزل فصلى فصلّى رسول الله ﷺ يعني الظهر ، ثم نزل فصلّى فصلّى رسول الله ﷺ يعني العصر ، ثم نزل فصلى فصلى رسول الله ﷺ يعني المغرب ، ثم نزل فصلى فصلى رسول الله ﷺ يعني العشاء ، ثم نزل فصلى فصلى رسول الله ﷺ يعني الصبح ، ثم قال : بهذا أمرت» .

رواه البخاري في مواقيت الصلاة

★ ★ ★ ★

(**ثم قال بهذا أمرت**) يعني جبريل عليه السلام .

ويعلم من ذلك أن أوقات الصلاة لابد من مراعاتها ، وأن أمرها عظيم عند الله تعالى ، لذلك أُمِر جبريل عليه السلام أن ينزل على النبي ﷺ ليبين له أوقات الصلوات الخمس .

وقد أنزل الله تعالى الوعيد الشديد لمن أضاعوا أوقات الصلوات وصلوها في غير أوقاتها ، فقال الله سبحانه : (**فويل للمصلين ★ الذين هم عن صلاتهم ساهون** [1]) والويل : عذاب أليم ، أو واد في جهنم ، أوجب في جهنم . وهذا الوعيد لمن أضاع أوقات الصلاة فكيف حال التاركين ؟ !

---

(١) الماعون : ٤ ، ٥ .

الحديث العاشر

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **حُبِّب إلىّ من دنياكم ثلاث : النساء ، والطيب ، وجعلت قُرَّة عينى فى الصلاة**»

رواه السيد أحمد بن إدريس والإمام أحمد والنسائى والحاكم والبيهقى

★ ★ ★ ★

قال العالم الصوفى الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندرى المالكى رحمه الله : قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود ، والنبى ﷺ لم تقر عينه إلا بالله تعالى ولذلك قال : (**فى الصلاة**) ولم يقل : بالصلاة .

قلت : الصلاة حبيبة الأرواح ، وفيها مناجاة حبيبها ، وتنزلات فيوضات المناجاة والتجلّيات ، وهى عرس الأرواح ، ومهبط الريحان والراح ، وحق للعيون أن تقرَّ بها ؛ لأن فيها القرب من ربها .

فعليك يا أخانا بالإقبال عليها فرضا ونفلا لتنال بها مانـاله المصلون الذين خشعوا لربهم فى صلواتهم ، فنالوا من ربهم فلاح المفلحين وإنابة المخبتين .

قال الحافظ القسطلانى : سميت الصلاة صلاة لأمور :

أولها : أنها توصل إلى الجنة ، روى عن على رضى الله عنه أنه قال : تدرون لم سميت الصلاة صلاة ؟ قالوا : لا يا أمير المؤمنين . قال : لأنها توصل صاحبها إلى الجنة .

ثانيها : أنها من الصلة ؛ لأن العبد إذا فعلها اتصل بربه ، وإذا تركها انقطع ، روى عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة** »

أخرجه مسلم وابن ماجه .

ثالثها : أنها من التصلية بمعنى التقويم ؛ لأنها تقوم الإنسان وتصلح قلبه وعقله .

رابعها : أنها سميت صلاة لمواصلة الله العبد بتعهده بنعمه عند فعلها كما قال تعالى : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى [1])

خامسها : سميت صلاة ؛ لأنها توصل تاركها إلى النار ، قال عليه الصلاة والسلام: (إذا صلى العبد الصلاة فلم يتم ركوعها ولا سجودها تلف كما يلف الثوب الخلق ، ثم يضرب بها وجه صاحبها) أخرجه السيوطى .

---

(1) طه : ١٣٢

الحديث الحادى عشر

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

(بينما النبى صلى الله عليه وآلـه وسلم جالس وأسماء بنت عميس قريبة منه إذ رد السلام وقال : يا أسماء هذا جعفر مع جبريل وميكائيل مروا فسلموا علينـا ، وأخبرنى أنه لقى المشركين يوم كـذا ويوم كذا ، قال : فأصبت فى جسدى من مقادمى ثلاثا وسبعين من طعنة وضربة ثم أخـذت اللواء بيـدى اليمنى فقطعت ، ثم أخـذتـه بيدى اليسـرى فقطعت ، فعـوضنى الله من يـدى جنـاحين أطيـر بهمـا مع جبـريل وميكائيل ، أنـزل من الجنة حيث شئت وآكل من ثمارهـا ما شئت . قالت أسماء : هنيئا لجعفر ما رزقه الله من الخير، لكنى أخاف أن لا يصدقنى الناس فاصعد المنبر فأخبـر به الناس . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليـه ثم قـال : إن جعفـر بن أبى طـالب مـرّ مع جبـريل وميكائيـل عوضه الله من يـديه جنـاحين فسلم على . ثم أخبرهـم بما أخبره به)

أخرجه الحاكم

★ ★ ★ ★

وأخرج ابن عساكـر من طريق ابن اسحاق قال : حـدثنى الحسين بن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بعد قتل جعفر: (لقد مـر بى الليلة جعفـر يقتفى نفرا مـن الملائكـة له جنـاحان مختضبـة قوادمهما بالدم يريدون بيشة بلد باليمن)

وأخرج ابن عدى من حديث على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم قـال : (عرفت جعفرا فى رفقـة من الملائكة يبشرون أهل بيشة بالمطر)

أيها الأخ المـؤمن : هل قرأت حديث الشهيـد سيدنا جعفـر الطيار بن أبى طالب رضى الله عنه؟ فإذا قرأته وفهمته فقد فهمت شيئا عجيبا وغريبا ، وإنما

أردت أن أبين لك فضل الله تعالى على أحبابه ، وكيف يخرق لهم العوائد ؛ لأجل أن أنقلك إلى أن تفكر فى فضل خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم .

إذا كان ابن عمه الشهيد سيدنا جعفر يطير مع الملائكة ، ويأتى من الجنة إلى الدنيا ليبشر أهل بلد باليمن بالمطر ، وذلك بعد أن قتل ودفن تحت التراب ، فهل بلغك أن هذا الذى تحت التراب شهد الله تعالى له بالحياة ، وأنه فى الجنة ؟ كيف عاد إلى الدنيا وصار يطير مع الملائكة الكرام ؟ !

ويؤيد هذا الحديث الأحاديث التى وردت فى الإسراء ، وأن الله تعالى قد جمع النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين له صلى الله عليه وآله وسلم فصلى بهم إماما ، وهذه المسألة عند العلماء تسمى معجزة ، ومسألة سيدنا جعفر رضى الله عنه تسمى كرامة ، والمعجزات والكرامات ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع ، وقد قال العلماء : كل معجزة لنبى تجوز أن تكون كرامة لولى .

الحديث الثانى عشر

عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

(الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلّون) .

أخرجه البيهقى ، ونسبه السيوطى فى الجامع الصغير إلى أبى يعلى الموصلى فى مسنده ، وقال شارحه : هو حديث صحيح اهـ .

★ ★ ★ ★

قال صاحب نظم المتناثر من الحديث المتواتر : إن من جملة ما تواتر عن النبى ـ ﷺ ـ حياة الأنبياء عليهم السلام فى قبورهم ، وقال السيوطى فى مرقاة السعود حاشية سنن أبى داود :

« حياة النبى ـ ﷺ ـ فى قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علمًا قطعيًا لما قام عندنا من الأدلة على ذلك ، وتواترت الأخبار الدالة على ذلك » .

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى كتاب الروح ـ نقلاً عن أبى عبد الله القرطبى ـ : صحَّ عن النبى ـ ﷺ ـ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه ـ ﷺ ـ اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء والمعراج فى بيت المقدس ، وفى السماء ، خاصة بسيدنا موسى ـ عليه السلام ـ وقد أخبر ـ ﷺ ـ بأنه ما من مسلم يسلّم عليه إلا ردَّ الله عليه روحه ، حتى يردَّ عليه السلام ... إلى غير ذلك ممَّا يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء ـ عليهم السلام ـ إنما هو راجع إلى أنهم غيبوا عنَّا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء ، وذلك كحال الملائكة ، فإنهم أحياء موجودون ، ولا نراهم ...

وقد دلَّ القرآن على حياة النبى ـ ﷺ ـ وحياة جميع النبيين والمرسلين ـ عليهم السلام ـ فهم أحياء بعد وفاتهم أيضًا ، وذلك أن الله ـ تعالى ـ قال (**ولا تحسبنَّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتًا بل أحياء**)(١)

فهذه الآية تدل على حياة جميع الأنبياء بمفهوم الموافقة ، وذلك أن الأنبياء أولى بتلك المنقبة من الشهداء ، وتدل على حياة نبينا ـ ﷺ ـ بعموم لفظها ، وذلك أن الله ـ تعالى ـ جمع له بين النبوة والرسالة والشهادة ـ كما صحت الأخبار بذلك ...

---

(١) ١٦٩ : آل عمران .

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ

(إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) .

مروى عن أوس بن أوس من حديث طويل ، أخرجه أبو داود والإمام أحمد والنسائى وابن ماجه والدارمى والبيهقى فى كتاب الدعوات الكبير ، وابن خزيمة ، وابن حبَّان فى صحيحه ، والطبرانى فى الكبير ، وسعيد بن منصور فى سننه ، وابن أبى شيبة ، والحاكم وصححه ، وصححه أيضًا : النووى ـ رحمهم الله أجمعين ـ

وقد نظمت بفضل ربِّى المخرّجين لهذا الحديث ـ بسبب كثرتهم ـ ليسهل حفظهم ، فقلت :

تحريم أكل الأرض جسمًا للنبى ∴ قد قاله المختار خير العرب
أخرجه عشر كذاك اثنان ∴ من سادة الحديث والإتقان
وإمامنا أحمد والنسائى ∴ كذا ابن حبّان بلا امتراء
والطبرانىّ لدى الكبير ∴ ثم ابن ماجة عالمٌ نحرير
وابن خزيمة كذا سعيد ∴ فى سنن أقوالها تفيد
وابن أبى شيبة ثم الدارمى ∴ فاحفظ حديث الفضل كالأكارم

وأخرج أبو يعلى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : ـ سمعت رسول الله ﷺ ـ يقول :

(والذى نفسى بيده لينزلنَّ عيسى بن مريم ، ثم لئن قام على قبرى فقال : يا محمد لأجيبنَّه)

وقال الإمام القرطبى حافظ الأندلس فى التذكرة ـ فى شرح حديث الصعقة عن شيخه مانصه ـ :

« الموت ليس بعدم محض ، وإنما هو انتقال من حال إلى حال ، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون ، فرحون ، مستبشرون ، فهذه صفة الأحياء فى الدنيا ، فإذا كانت ثابتة للشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى .

وقد صحَّ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه ـ ﷺ ـ اجتمع بالأنبياء

ليلة الإسراء فى بيت المقدس وفى السماء ، ورأى موسى قائمًا يصلى فى قبره ، وأخبر ـ ﷺ ـ أنه يرد السلام على كل من يسلّم عليه ، إلى غير ذلك ممّا يحصل من جملته القطع بأن موتهم إنما هو راجع إلى أنهم غيبوا عنّا بحيث لا نراهم ، وإن كانوا موجودين أحياء ، ولا يراهم أحد من نوعنا إلامن خصَّه الله تعالى بالكرامة » اهـ

وقال البيهقى فى دلائل النبوة : الأنبياء أحياء عند ربهم كالشهداء . وقال الشيخ تقى الدين السبكى فى مؤلفه : جمع الجوامع ما نصه :

حياة الأنبياء والشهداء فى القبر كحياتهم فى الدنيا ، ويشهد له صلاة موسى فى قبره ، فإن الصلاة تستدعى جسمًا حيًّا ، وكذلك الصفات المذكورة فى الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام ، ولا يلزم من كونها حياة حقيقة أن تكون الأبدان معهاكما كانت فى الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب ، وأما الإدراكات كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى » اهـ

وقال البرهان اللقانى فى شرح جوهرة التوحيد ما نصه :

الرابع ـ أى من التنبيهات ـ : أن الأنبياء أحياء فى قبورهم وبعد موتهم اهـ

وقال الإمام بدر الدين بن الصاحب فى تذكرته ما نصه :

فصل فى حياته ـ ﷺ ـ بعد موته فى البرزخ ، وقد دلّ على ذلك تصريح الشارع وإيماؤه ، ومن القرآن الكريم قوله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون)[1]

فهذه الحالة ـ وهى الحياة فى البرزخ بعد الموت ـ حاصلة لآحاد الأمة من الشهداء ، وحاصلة لمن له هذه المرتبة ولا سيما فى البرزخ ، ولا تكون رتبة أحد من الأمة أعلى من النبى ـ ﷺ ـ بل إنما حصلت لهم هذه الرتبة بتزكيته وتبعيته ...

---

(١) آل عمران / ١٦٩ .

وقال فيها ـ أيضا ـ ما نصه :

« وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ (مررت على موسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الأحمر ، وهو قائم يصلى فى قبره) . [1]

وهذا صريح فى إثبات الحياة لموسى عليه السلام ، فإنه وصفه بالصلاة وأنه كان قائمًا ، ومثل هذا لا توصف به الروح ، وإنما يوصف به الجسد ، وفى تخصيص الصلاة بالقبر دليل على هذا ، فإن الحياة لو كانت من أوصاف الروح وحدها لما احتيج إلى التخصيص بالقبر ، فإن أحداً لم يقل إن أرواح الأنبياء مسجونة فى القبر مع الأجساد ، وأرواح الشهداء والمؤمنين فى الجنة ... اهـ .

وقال البرهان اللقانى فى شرحه الصغير ما نصه :

« ونقطع بعودة حياة كل ميت فى قبره ، وبنعيم القبر وعذابه ، وهما من الأعراض المشروطة بالحياة ، لكن لا يتوقف على البنية ، وأما أدلة الحياة فى الأنبياء فمقتضاها أنها مع البنية ، وقوة النفوذ فى العالم ، مع الاستغناء عن العوائد الدنيوية ، ومن هنا قال أبو الحسن الأشعرى ـ رحمه الله ـ : النبى ـ ﷺ ـ فى حكم الرسالة الآن اهـ .

وسئل البارزى ـ رحمه الله تعالى ـ : هل النبى ـ ﷺ ـ حىٌّ فى قبره ؟ فأجاب : نعم ، هو حىٌّ .

وقال الأستاذ أبو منصور عبد القادر بن طاهر الفقيه الأصولى البغدادى شيخ الشافعية فى أجوبة مسائل :

قال المتكلمون المحققون من أصحابنا : إن نبينا محمدًا ـ ﷺ ـ حىٌّ بعد وفاته ، وأنه يبشر بطاعات أمته ، ويحزن لمعاصى العصاة ، وأنه تبلغه صلاة من يصلى عليه من أمته .

وقال : « إن الأنبياء لا تبلى أجسادهم ، ولا تأكل الأرض منهم شيئا ، وقد مات سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ فى زمانه ، وأخبر نبينا ـ ﷺ ـ أنه رآه فى قبره

---

(١) رواه مسلم .

مُصلّيا ، وذكر فى حديث المعراج أنه رآه فى السماء الرابعة ، ورأى آدم وإبراهيم ـ عليهما السلام ـ وإذا صحَّ لنا هذا الأصل قلنا : إن نبينا ﷺ قدصار حيًّا بعد وفاته ، وهو فى نبوته » ا هـ .

وقال الحافظ البيهقى فى كتاب الاعتقاد : إن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بعد ما قبضوا رُدَّت إليهم أرواحهم ، فهم أحياء عند ربهم ، وقد رأى نبينا ـ ﷺ ـ جماعة منهم وأمَّهم فى الصلاة ، وأخبر ـ وخبره صدق ـ أن صلاتنا معروضة عليه ، وأن سلامنا يبلغه ، وأن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ...

قال الحافظ البيهقى ـ رحمه الله ـ وقد صنفت لإثبات حياتهم كتابا .

ثم قال : اللهم أحينا على سنة هذا النبى الكريم ، وأمتنا على ملّته ، واجمع بيننا وبينه فى الدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير ا هـ .

قلت : ودعاء هذا الشيخ يوافق ما ذكره شيخنا فى صلاته العظيمية :

(واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهراً وباطناً يقظةً ومناماً) .

وقال الشافعى عفيف الدين اليافعى : الأولياء ترد عليهم أحوال يشاهدون بها ملكوت السموات والأرض ، ينظرون الأنبياء غير أموات ، كما نظر النبى ـ ﷺ ـ إلى موسى ـ عليه السلام ـ فى قبره ، وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة ، بشرط عدم التحدى ، ولا ينكر ذلك إلا جاهل ، ونصوص العلماء فى حياة الأنبياء كثيرة فلنكتف بهذا القدر ا هـ .

وحكايات العارفين كسيدى أحمد الرفاعى لمَّا وقف عند القبر الشريف وأنشد بيتيه المشهورين فخرجت اليد الشريفة وصافحته ، وهى مشهورة متداولة ...

أقول بفضل الله العلى : ومما يدلُّ على أنه ـ ﷺ ـ حىٌّ بجسمه وروحه : قول الله تعالى (**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**) [1] .

---

(١) ٣٣ : التوبة .

وضمير (**وأنت**) إنما يدل على الروح والجسد والحياة ، فيلزم من وجوده ـ ﷺ ـ كما هو : رفعُ العذاب ، وقد رفع عنهم وهو فيهم ، كقوله تعالى (**وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة**) [1]

أى : معهم بجسمك وروحك ...

وقول الله ـ تعالى ـ (**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**)[2] والبيعة لا تنفع إلا بالإقرار بالشهادتين ، حينما كان ـ ﷺ ـ بين أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ وبعد أن لحق بالرفيق الأعلى بقيت البيعة كما هى ، فلو لم يكن حيًّا بعد الموت ، و لو لم تكن رسالته ـ ﷺ ـ باقية كما هى لغيرّت البيعة ...

وإذا كان الإسلام لا يتمُّ ولا يقبل إلا بذكر اسمه ، فذكر اسمه ـ ﷺ ـ وسيلة فى قبول الإسلام والإيمان .

وقول الله ـ تعالى ـ (**أطيعواْ الله وأطيعواْ الرسول**) [3] ، وهذا الأمر باقٍ إلى يوم القيامة ، فالطاعة هى الطاعة ، والرسول ـ ﷺ ـ هو الرسول ، وطاعته الواجبة حينما كان بين أصحابه هى طاعته الواجبة الآن ، فمن أنكر الأولى كفر ، ومن أنكر الثانية كفر ...

وإنما كانت الطاعة الأولى لرسول حىٍّ بجسمه وروحه ، واليوم تبقى له الرسالة والطاعة ، وهما أفضل من الحياة ، ويلزم منهما الحياة ، فتأمل فى قولى هذا لعلك ترشد .

وقول الله تعالى : (**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا**)[4] فهل المراد (**بهؤلاء**) الصحابة فقط أم الأمة جميعها ؟ بل المراد : الأمة الشاملة للصحابة وغيرهم إلى يوم القيامة ، إذ هو ـ ﷺ ـ شهيد الأمة ...

---

(١) ١٠٢ : النساء .
(٢) ١٠ : الفتح .
(٣) ٥٩ : النساء ، ٣٣ : محمد .
(٤) ٤١ : النساء .

وقال تعالى : (**والله ورسوله أحقّ أن يرضوه**) [1] ورضاء الله ـ تعالى ـ يكون بطاعة الله تعالى ، ورضاء النبى ـ ﷺ ـ يكون بطاعة الله تعالى ، فليعتقد الطائع أن الله ـ تعالى ـ راض عنه الآن ، وأن نبيّه ـ ﷺ ـ راضٍ عنه الآن ...

قال الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) [2] فالرحمة مستمرة حتى الآن ، وإلى ما شاء الله ...

وقال ـ تعالى ـ : (**من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**) [3]

وقد أحيا الله ـ تعالى ـ نبيه ـ ﷺ ـ فى الحياة الدنيا بأطيب حياة ؛ لأنها حياة النبوة والرسالة والجهاد والعبادة ...

وأحياه بعد الموت حياة ، وجزاه بأحسن ما كان يعمل ـ ﷺ ـ فإذا كان الجزاء أحسن كانت الحياة أحسن ، والجزاء الحسن يبتدئ من لحظة إخراج الروح ، قال ـ تعالى ـ (**الذين توفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم**)[4] ، وقال تعالى (**ألا تخافوا ولا تحزنوا**)[5] ، وقال ـ تعالى ـ (**يا أيتها النفس المطمئنة ★ ارجعى إلى ربك راضية مرضية**) [6] .

فهذا كله من الجزاء الحسن ، الأحسن ، عند الاحتضار ، وأما ما بعده فقال النبى ـ ﷺ ـ :

« **القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار**)

فإمام الأنبياء والمرسلين ـ ﷺ ـ هو أفضل الناس حياة بعد الموت ، وأعلاهم روضة فى القبر ، وأحسنهم جزاء ؛ إذ كان ـ ﷺ ـ أفضلهم أعمالاً ، وأكثرهم طاعة وجهاداً وتهجداً وعبادة وتلاوة ، وأكثرهم ذكراً لربّ العالمين ...

وقال ابن حجر الهيتمى ـ رحمه الله ـ :

---

(١) ٦٢ : التوبة .
(٢) ١٠٧ : الأنبياء .
(٣) ٩٧ : النحل .
(٤) ٣٢ : النحل .
(٥) ٣٠ : فصلت .
(٦) ٢٧ ، ٢٨ : الفجر .

تـــواتـــرت الأدلـــة والنقـــولُ ∴ فمـا يحصى المصنف مـا يقـولُ
بـأنَّ المصطفـى حـيٌّ طَـــــرِيٌّ ∴ كبـــدر التـمّ ليس لـــهُ أفـــولُ
ولم تـأكل لـــه الغبـــراءُ جِسْمًـــا ∴ وَلا لحمًـــا وأثبـت مـــا أقـــول

وهـذه الأبيـات من قصيـدة طـويلة شـرحهـا شيخنـا المحـدث حبيب الله الشنقيطى ـ رحمه الله .

وذكر الحافظ عبد العظيم المنذرى فى كتابه « الترغيب والترهيب » فى باب صلاة الحاجة : أن عثمان بن حنيف علَّم رجلاً له حاجة عند سيدنا عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ أيام خلافتـه حديثَ الأعمى الذى فيه التوسل به ـ ﷺ ـ وكان ذلك بعـد وفاة النبى ـ ﷺ ـ فعلم من ذلك حيـاته ـ ﷺ ـ بعـد الموت ؛ لأن سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ وغيره من الصحابة أخبروا أنهم كانوا يتوسلون به ـ ﷺ ـ وقت حياته ، وتـوسلهم به ـ ﷺ ـ بعـد وفاته دليل على حياتـه بعد الموت عند ربه ـ سبحانه وتعالى ـ .

وقد أوجب الله ـ سبحانـه ـ الصـلاة والسلام على نبيـه وقت حياتـه وبعد وفاته ـ ﷺ ـ .

وقـد أجمع العلماء على وجـوب الصلاة والسـلام عليه ـ ﷺ ـ فى العُمـر مرّة .

وقـال الطحاوى ـ رحمه الله ـ تجب كلما ذكـر ، وارتضاه الحليمى ـ من الشافعية ـ لقوله ـ ﷺ ـ :

(رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلّ على)

أخرجه الترمذى والحاكم عن أبى هريرة ...

الحديث الثالث عشر

عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

« إذا وضعت الجنازة ، واحتملها الرجال على أعناقهم ، فإن كانت صالحة قالت : قدِّمونى ، وإن كانت غير صالحة قالت : يا ويلها : أين تذهبون بها ، يسمع صوتها كلُّ شىء إلا الإنسان ولو سمعه صعق » .

★ ★ ★ ★

هذا الحديث ذكره البخارى فى باب حمل الرجال الجنازة دون النساء .

والجنازة : تطلق تارة على الميت ، وتارة على النعش ، فمن ذلك قولهم : غسلُ الجنازة ، ودفن الجنازة ، يعنى الميت ، ومن إطلاقها على النعش قول الشاعر الذى استشهد به الشيخ الدجوى ـ رحمه الله ـ حينما كان يقرأ تفسير قوله ـ تعالى ـ : (**ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين**)[1]

قال : الثلة : تطلق على مجموعة من الغنم ، كقول الشاعر :

تروِّعنا الجنائز مقبلات ∴ ونلهو حين ترجع مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب ∴ فلما عاد عادت راتعات

فالمراد بالجنازة هنا : السرير الذى يحمل عليه الميِّت ، واستدل ابن حجر على أن المراد به الميت أو السرير ، حيث قال : يحتمل أن يريد بالجنازة نفس الميت ، وبوضعه : جعله فى السرير ، ويحتمل أن يراد : السرير

اعلم أن عالم الغيب ــ وهو الذى لا ندركه بالحواس الخمس ـ قد غاب عنَّا ، كما قال القرطبى ـ رحمه الله تعالى ـ فى أول تفسيره لقوله ـ تعالى ـ : (**الذين يؤمنون بالغيب**)[2] قال : « الغيب : ما غاب عنّا ، كما قال الشاعر :

وبالغيب آمنّا وقد كان قومنا ∴ يصلُّون للأوثان قبل محمد

---

(١) الواقعة / ٣٩ ، ٤٠ .
(٢) البقرة / ٣ .

فالروح : من عالم الغيب ، فلذلك لا تدرك بالحواس ، وقد يقع من الميت شيئان بعد خروج روحه : كلامه على السرير وهو محمول على الأعناق، وجوابه حين يُسأل فى القبر ، وكلاهما من الغيب » ا هـ .

أما كلامه وهو محمول فوق الأعناق ففيه أقوال ، أظهرها عندى الذى قاله الحسن بن بطّال المالكى شارح البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ ورجحه الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ أن كلامه يكون بالروح فقط ، فهو من عالم الغيب .

والروح لا ترى ولا يسمع كلامها إلا فى النوم ، وأما فى اليقظة فلا ... وأما جواب الميت عن السؤال فى القبر فقد ورد أنه للروح والجسد ، لكن على طريقة الغيب الذى لا يرى ولا يسمع ، بمعنى : لو حفر إنسان القبر ، أو لو تركنا الميت والقبر مفتوحًا ، وجاءته الملائكة ، وسألته، فإننا لا نرى ولا نسمع شيئا ، ولو مكث إنسانٌ فى القبر مع الميت ، وجاءته الملائكة وسألته فلا يسمع الحىُّ شيئا ، ولا يرى شيئًا ؛ لأن عالَم الغيب لا يُرَى ... وقد ورد فى الحديث : « **القبر إما روضة من رياض الجنة ، وإما حفرة من حُفَر النار** » . (١)

وهذا الكلام يحتاج إلى شرح ، فنحن قد آمنا وصدقنا بذلك ، فلو حفرنا القبر وفتحناه على الميت فلن نرى جنة ولا ناراً ...

واعلم أن القبر قبران : قبر للجسد الذى ندفنه فيه ، وقبر تجعله الملائكة، فإن كان الميت من أهل الجنة جعلت قبره روضة من رياض الجنة ، وإن كان من أهل النار جعلت قبره حفرة من حفر النار، وهذا من عالم الغيب الذى لا يرى .

قال تعالى : (**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**)(٢) .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) طه / ٥٥ .

يعنى الأجساد لا الأرواح ؛ لأن الأرواح ليست من الأرض ، ولا تدفن فيها ، ولا تخرج منها ...

قال سيدى أحمد زروق المغربى المالكى ـ رضى الله تعالى عنه ـ :

« عالم الغيب نؤمن به ولا نجهد أنفسنا فى أن تتصوره عقولنا ، لأنها لا تدركه » أوكما قال . اهـ

وكل ما يقع من الميت بعد خروج الروح إذا ظهر لنا فهو أمر خارق للعادة أخرج البخارى : «**أن صحابيًا كان يقسم أنه لا يضحك حتى يعلم أنه من أهل الجنة ، فلما مات ووضع فى المغتسل تبسَّم ، فعلم الصحابة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ أنه علم أنه من أهل الجنة** » ...

وإذا علم الميت أنه من أهل الجنة قال للذين يشيعون جنازتهُ : قدّمونى قدّمونى ، ليستأنس بهم ؛ لأنه فرح مسرور ، وإذا كان غير ذلك يقول : يا ويلاه . أى : يا عذابى ؛ لأنه يعلم أنه من أهل العذاب ، فهو لا يريد أن يذهب إلى قبره ؛ لعلمه بالعذاب الذى ينتظره فى القبر ...

(فائدة) : اعلم أن الميت ينعم قبل خروجه من بيته بالكلام الطيب من الملائكة ، كما فى قوله تعالى : (**يقولون سلامٌ عليكم**) (١) .

وكما فى قوله ـ تعالى ـ : (**تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون**) (٢) .

فهذا القول من النعيم ؛ لأن الميت يفرح به فرحًا عظيمًا ، وأما من كان من أهل النار ، فيُسَاء ويحزن ؛ لقول الملائكة لمن كان مثله :

(**أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون**) (٣) وفى قوله تعالى :

---

(١) النحل / ٣٢ .

(٢) فصلت / ٣٠ .

(٣) الأنعام / ٩٣ .

(ولو ترى إذْ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق) [1] .

فالكافر يذوق عذاب الحريق قبل أن يخرج من بيته ...

وقد روى البخارى ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال :

« إن المؤمن يكشف له عن مقعده فى الجنة فيحب لقاء الله تعالى ، ويحب الله لقاءه » .

قلت : لعل هذه الأشياء هى التى تجعل المؤمن يقول : قدّمونى ، وتجعل الكافر يقول : يا ويلاه ؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى .

وعلم من ذلك أن الميت يعرف نفسه قبل خروجه من بيته أهو من أهل الجنة أم من أهل النار ؟

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ :

« يسمع ذلك كل شىء من مخلوقات الله ـ تعالى ـ إلا الإنسان ولو سمعه لصعق » .

أى : أغمى عليه ، أو مات من شدة هول ما يسمعه ، نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا ممن يقول : قدّمونى ، قدّمونى . آمين .

---

(١) الأنفال / ٥٠ .

الحديث الرابع عشر

عن ابن عمر ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

(إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده[1] بالغداة والعشى : إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ... فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة)

متفق عليه

★ ★ ★ ★

فى هذا الحديث دليل على أن الميت له إدراك قوى وهو فى قبره حتى إنه ليرى المؤمن مقعده فى الجنة ، ويرى الكافر مقعده فى النار .

وهذا الحديث يؤيد عرض الأعمال على النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى أخرجه البزار بسند رجاله رجال الصحاح عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «**حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، فإذا أنامت كانت وفاتى خيرا لكم تعرض علىّ أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله ، وان رأيت شرًّا استغفرت لكم**» .

وهو حديث مرفوع ، وله طريق آخر مرسل عن بكر بن عبد الله المزنى وغيره .

وأما عرض الأعمال على الأقارب فأخرج الإمام أحمد والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وابن منده أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات ، فإن رأوا خيرا استبشروا به ، وان كان ـ أى المرئى ـ غير ذلك قالوا : اللهم لا تمتهم**

---

(١) (عرض عليه مقعده .) العرض إنما هو على الروح بما يحقق تباشير السعادة العظمى للفائزين ، ومقدمة الشقاوة الكبرى للخاسرين ...

وهذا ما تضافرت عليه الأدلة كتابًا وسنة ... قال ـ تعالى ـ فى قصة آل فرعون (**النار يعرضون عليها غدوًا وعشيا**) أى : وذلك فى البرزخ بدليل قوله ـ تعالى ـ بعد ذكر ذلك العرض : (**ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب**) ...

حتى تهديهم كما هديتنا » وفى رواية عن الطيالسى عن جابر بن عبد الله : « وان كان غير ذلك قالوا : اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك » وأخرج الحكيم الترمذى فى نوادره أيضا من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «تعرض الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا وإشراقا فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم »

أما عرض الأعمال على الأجانب فأخرج ابن المبارك وابن أبى الدنيا عن أبى أيوب قال :

(تعرض أعمالكم على الموتى فإن رأوا حسنا استبشروا ، وإن رأوا سوءًا قالوا : اللهم راجع بهم)

الحديث الخامس عشر

أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال : أخبرنا عطاء الخراسانى قال : حدثنى عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(إنى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة)** (١)

★ ★ ★ ★

هذا هو الحديث الناسخ الذى نسخ جميع النهى السابق عن زيارة القبور للنساء والرجال .

فقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم (**فزوروها**) أمر منه بزيارة قبور جميع المسلمين رجالا وإناثا سواء كانت قريبة أم بعيدة ، والأمر منه صلى الله عليه وآله وسلم للسنة .

ومن هذا الحديث أجمع المسلمون على أن زيارة قبور المسلمين سنة للرجال والنساء .

وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **زوروا القبور ولا تقولوا هُجرا** » رواه الطبرانى فى الصغير ، وفى رواية أبى سعيد الخدرى : « **ولا تقولوا ما يسخط الرب** » رواه البزار

---

(١) وفى الحديث أيضا : عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إنى نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة) رواه أحمد .

الحديث السادس عشر

أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا ابن جريج قال : أخبرنا ابن أبى مليكة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **ائتوا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم فإن لكم فيهم عبرة** »

★ ★ ★ ★

هذا الحديث فيه أمر بزيارة القبور ، مؤيدا ومقويا للحديث الأول الآمر بالزيارة ، والحديث الأول جاء مقرونا بفوائد تحصل بسبب الزيارة للأحياء وهى أنها تذكر الآخرة وتذرف العين ، وفى رواية (**وتزهد فى الدنيا**) وفى هذا الحديث بين صلى الله عليه وآله وسلم أن فى زيارة القبور عبرة وعظة وتذكارا للأحياء ، ثم أمر صلى الله عليه وآله وسلم بالسلام عليهم ؛ لأنهم يسمعون السلام ويردون على من سلم عليهم ، وأمر بالدعاء لهم ؛ لأن الأموات ينتفعون بدعاء الأحياء لهم ، وهذا قد ثبت بالقرآن العظيم قال تعالى : (**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان**[1]) وفى السنة أحاديث كثيرة ، منها هذا الحديث ، ومعنى (**وصلوا عليهم**) أى ادعوالهم ، وفى سنن ابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رخص فى زيارة القبور .

---

(١) الحشر : ١٠

الحديث السابع عشر

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« يسّ لما قرئت له ، فاقرءوها على موتاكم »

أخرجه الطبرانى وذكره صاحب منتقى الأخبار

★ ★ ★ ★

هذا حديث صريح ونص فى الأمر بقراءة سورة يس - وهى من سور القرآن - على الموتى ، وإذا جازت قراءة يس جاز غيرها قياسا عليها .

وقد اختار هذا الرأى الشيخ الشوكانى فى كتابه (نيل الأوطار) عند شرحه لهذا الحديث ، ورد على الشيخ محب الدين الطبرى رحمه الله فى قوله : على المحتضرين . بأن الحديث يقول : (**على موتاكم**) وهذه هى الحقيقة ، والميت غير المحتضر ، فلم صرفت اللفظ عن حقيقته إلى مجازه من غير قرينة ؟

وإنى راض عن قول الشوكانى غاية الرضا لأنه الواقع والمعلوم من الحديث ، والذى عليه عمل الناس سلفا وخلفا . وفقنى الله وإياكم إلى اتباع السنة الصريحة الصحيحة حبا فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

الحديث الثامن عشر

عن ابن عباس رضى الله عنهما « **أن رجلا قال يا رسول الله إن أمى توفيت أفينفعها إن تصدقت عنها قال صلى الله عليه وآله وسلم : نعم، قال : فإن لى مخرفا[1] فأشهدك أنى قد تصدقت به عنها** »

أخرجه الحافظ أبو عيسى الترمذى رحمه الله فى سننه

★ ★ ★ ★

قال الحافظ السيوطى رحمه الله : اختلف فى وصول ثواب القرآن للميت، فجمهور السلف والأئمة الثلاثة على الوصول ، وخالف فى ذلك إمامنا الشافعى وبعض العلماء لقوله تعالى : (**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**)[2] واستدلوا على الوصول بالقياس على الدعاء والصدقة والصوم والحج والعتق فإنه لا فرق فى نقل الثواب بين أن يكون عن حج أو صدقة أو وقف أو دعاء أو قراءة ، وبما أخرجه السمرقندى فى فضائل (قل هو الله أحد) عن على مرفوعا : (**من مرّ على المقابر وقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات**) وبما أخرج أبو القاسم سعد بن على الزنجانى فى فوائده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**من دخل المقابر ثم قرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وألهاكم التكاثر ثم قال : إنى جعلت ثواب ما قرأت من كلامك لأهل المقابر من المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعاء له إلى الله تعالى**) وبما أخرج صاحب الخلال بسنده عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (**من دخل المقابر فقرأ سورة يسّ خفف الله عنهم وكانت له بعد د من فيها حسنات**)

وهذه الأحاديث وإن كانت ضعيفة فمجموعها يدل على أن لذلك أصلا ،

---

(١) المخرف : البستان

(٢) النجم : ٣٩ .

وأن المسلمين ما زالوا فى كل مصر وعصر يختمون ويقرءون لموتاهم من غير نكير فكان ذلك إجماعا .

قال الأحوذى شارح الترمذى : ذكر ذلك كله الحافظ شمس الدين بن عبد الواحد المقدسى الحنبلى فى جزء ألفه فى المسألة .

قال الشوكانى ـ رحمه الله ـ فى نيل الأوطار : والحق أنه يخصص عموم الآية (**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**) بالصدقة من الولد ، وبالحج من الولد ومن غير الولد أيضا ، وبالعتق من الولد ، لما ورد فى هذا كله من الحديث ، وبالصلاة من الولد أيضا لما روى الدار قطنى (**أن رجلا قال يا رسول الله : إنه كان لى أبوان أبرهما فى حال حياتهما فكيف لى ببرهما بعد موتهما ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن من البر بعد البر أن تصلى لهما مع صلواتك ، وأن تصوم لهما مع صيامك**)

قال الشوكانى : وبالصيام لهما من الولد لهذا الحديث ، ولحديث ابن عباس عند البخارى ومسلم (**أن امرأة قالت : يا رسول الله إن أمى ماتت وعليها صوم نذر ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان يؤدى ذلك عنها ؟ قالت : نعم . قال : فصومى**) ومن غير الولد لحديث عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**) وبقراءة يسّ من الولد وغيره لحديث (**اقرءوا على موتاكم يسّ**) قال : وبالدعاء من الولد وغيره لحديث : (**أو ولد يدعو له**) ولحديث : (**استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت**) ولغير ذلك من الأحاديث ، وبجميع ما يفعله الولد لوالديه من أعمال البر لحديث : (**ولد الإنسان من سعيه**) وقد قيل : إنه يقاس على هذه المواضع التى وردت بها الأدلة غيرها فيلحق الميت كل شىء فعله غيره . هذا تلخيص ما قاله الشوكانى فى نيل الأوطار . انتهى من شرح الأحوذى على الترمذى .

الحديث التاسع عشر

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »

أخرجه البخارى ومسلم

★ ★ ★ ★

المعنى : إذا مات ابن آدم انقطع عمله لـه ولغيره بسبب الموت ، وإذا كان حيا لا ينقطع عمله له ولغيره بسبب الحياة .

وفيه دليل على أن الميّت ينتفع بعمل الحى ؛ لأن منطوقـه يقول : إذا مات ابن آدم انقطع عمله من صلاة وحج وصيام وصدقـات بسبب موته ، ومفهومه يقول : وأما عمل الحى إلى الميت فلا ينقطع ؛ لأن الحى له عمل .

وأول عمل ينتفع بـه الميت صلاة الجنـازة ، فقـد صلى النبى ﷺ على من مات، وأخـرج البخارى فـى صحيحه : (**باب قراءة الفـاتحة فى صلاة الجنازة على الميّت**) وأخـذ به الإمـام الشافعى رضى الله عنـه عملا بهـذا الحـديث ، فعند الشـافعيـة يقرءون الفـاتحـة بعـد التكبيرة الأولى من صـلاة الجنازة ، وصلاة الجنازة بمنزلة الزاد للمسافر .

وإذا كان الميت ينتفع بقراءة الفاتحة وهى أم القرآن فمن باب أولى أن ينتفع بباقى سور القرآن ، وبعض الناس يقول : إن القرآن لا يصل إلى الميت ، وقد ألهمنى الله تعـالى أن هذه الجملـة لها معنيان : المعنـى الأول : أن القرآن لا يصل إلى الميت آياته وسوره ، وإنمـا يصعد إلى السماء، قال تعالى: « **إليه يصعد الكلم الطيب** [1] » وقـال صلى الله عليه وآلـه وسلم : « **إذا قرىء القرآن فتحت أبواب السماء** » أخرجه الحافظ السيوطى رحمه الله

المعنى الثـانى : أن ثـواب القـراءة هـو الـذى يصل إلى الميت حسنـات عظيمـة كثيرة ، قـال صلى الله عليه وآلـه وسلم : « **قارىء القـرآن له بكل**

---

(١) فاطر : ١٠

حرف عشر حسنات ، لا أقول ألَمَ حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » يعنى أن من قرأ : (الَمَ) له ثلاثون حسنة تصل إلى الميّت إذا وهب القارىء ثوابها له

وقد أجمع العلماء سلفا وخلفا على وصول ثواب الصدقات للأموات ، وهذا كلام ظاهر، لأن الصدقة لا تصل إلى الميت بل تصل إلى الفقير فينتفع بها ، والحسنة بعشر أمثالها ، فمثلا إذا تصدقت على فقير برغيف على ميت من الأموات فالفقير يصله رغيف واحد، والميت يصله ثواب عشرة إلى سبعمائة ضعف على حسب تضعيف الله تعالى ، قال تعالى : « والله يضاعف لمن يشاء»[1]

وقد سمعت شيخنا الشنقيطى رحمه الله يقول : يصل ثواب قراءة القرآن للميت إذا وهبه القارىء له بأن يقول قبل القراءة : اللهم أوصل ثواب ما سأقرؤه لفلان ، قبل القراءة وهو الأفضل، ويجوز بعدها .

فمن ذلك علمنا أن الميت ينتفع بعمل الأحياء ، وأما عمله هو فقد انقطع بسبب الموت، أما العمل الذى تسبب فيه فى وقت حياته فإنه لا ينقطع عنه كالصدقة الجارية ، والعلم الذى ألّفه ، والولد الصالح الذى خلفه يدعو له من بعده .

(١) البقرة : ٢٦١

الحديث العشرون

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

(إن المؤمن ليرفع له الدرجة فـى الجنة فيقول : يا رب بم هذا ؟ فيقال له : بدعاء ولدك من بعدك)

★ ★ ★ ★

هذا دليل خاص على انتفاع الوالد بدعاء ولده ، بعد الدليل العام وهو قوله تعالى : **(ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان)**[1]

وهذه الآيـة فيها دليل على أن الأمـوات ينتفعون بـدعاء الأحيـاء سواء كـانوا أقرباء أم لا .

---

(١) الحشر : ١٠

الحديث الحادى العشرون

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال :

« ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا » .

★ ★ ★ ★

أخرجه البخارى ومسلم والنسائى والإمام أحمد ـ من حديث أبى الدرداء ـ وابن حبان فى صحيحه والحاكم ـ وصححه ـ والبيهقى ، وقد نظمت ذلك ـ بفضل الله تعالى ـ فقلت :

والملكان ينزلان يا فتى ∴ فى كل يوم يدعوان قد أتى
عن النبى صادق الأخبار ∴ فى مسلم كذاك فى البخارى
وفى النسائى كذا فى المسند ∴ عن الإمام أحمد المؤيد
والبيهقى والإمام الحاكم ∴ وابن حبان لهم مكارم

قوله ـ ﷺ ـ : (**ما من يوم**) أى : ليس يوم ، فـ (ما) بمعنى ليس ، و (يوم) اسمها ، وقوله : (**يصبح العباد فيه**) صفة ليوم ، (**إلا ملكان**) مستثنى ...

الإنفاق : هو إعطاء المال فى سبيل الله ، والتلف هو : ضياع المال ، والخلف : هو العوض ...

يخبرنا النبى ـ ﷺ ـ بأنه فى كل يوم يدعو الملك بالخير لكل متصدق ، ويدعو بالشر على كل ممسك عن الإنفاق ، ففى الحديث حض على الإنفاق ، وتنفير عن البخل ...

قال القرطبى ـ رحمه الله ـ : « الإنفاق يعم الواجبات والمندوبات لكن الممسك عن المندوبات لا يستحق الدعاء بالتلف » ...

قال الأبى المالكى شارح صحيح مسلم نقلاً عن القاضى عياض المالكى ـ رحمهما الله ـ : « فى هذا الحديث : الحض على الإنفاق رجاء قبول دعوة

الملك ، والمراد بالنفقة : النفقة فى الواجب والمندوب ؛ لأن فى المال حقوقًا متعينة ، ويعمُّ النفقة فى المندوب ، لكن بالمعروف » قال الأبى : «وأما الإمساك فالأظهر أنه أراد به الإمساك عن الواجب » ا هـ .

قلت : النفقة أقسام ثلاثة :

واجب : كالزكاة المفروضة ، ونفقة الحج ، والنفقة على الزوجة ، والأولاد ، وعلى الوالدين ، وعلى عاجز تلزمه نفقته شرعًا ، وعلى إنقاذ مَن إذا لم تنفق عليه هلك ، وفى الجهاد إذا دخل العدو البلد ، وعلى تعلُّم الواجب العينى إذا لم يمكن إلا بالإنفاق ، وعلى ميتٍ تعين تكفينه وأجرة دفنه على حاضرٍ ببلد كفرٍ مات فيه مسلمٌ ، وغير ذلك مما قامت أدلة الشرع على وجوبه ، والمندوب : كالتصدق على الفقراء والمساكين فى غير زكاة واجبة .

والمباح : كالولائم ، وكأكله وشربه وغير ذلك .

ولماً كان يثاب شرعًا على الواجب إذا أنفق فيه دعاله الملَك ، ولمَّا كان يأثم شرعًا إذا تركه دعا عليه بالتلف ، ولمَّا كان لا يأثم بترك المندوب والمباح لا يدعو عليه الملك بالتلف ، ولماً كان يثاب بالإنفاق المندوب يدخل فى دعاء الملك بالعِوَض .

والظاهر لى : أن كل ما كان فيه ثواب يدخل فى دعاء الملَك بالخير ، وكل ما كان فيه عقاب يدخل فى دعاء الملَك بالشرّ ، وما لا عقاب فى تركه ، ولا ثواب فى فعله لا يدخل ، كترك المندوب ، وفعل المباح .

فوائد :

الأولى : أن الله ـ تعالى ـ لحبه للإنفاق ، ولبغضه لهضم الحقوق الواجبة أنزل كل يوم ملكًا للدعاء بالخير لمن أنفق ، وللدعاء بالشر على من أمسك .

والثانية : أن الذى ينفق يبارك الله له فى ماله ، ويزيده من فضله ؛ لأن دعاء الملك مستجاب بالخير لكل منفق كريم ، وبالشرّ على كل ممسكٍ بخيل .

والثالثة : أن تارك الإنفاق الواجب لا يبارك له فى كَسْبِه ، وكلما ظنَّ أنه زاد نقص ، وكلما ظنَّ أنه حُفِظ تَلِف ؛ لأن دعوة الملك عليه بالتلف مستجابة .

والرابعة : أن هذا الحديث وافق قول الله ـ تبارك وتعالى ـ :

(وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)[1]

فعلى المؤمن أن يعتقد بقلبه اعتقادًا جازمًا بأن الله ـ عز وجل ـ يعوضه فى الدنيا عمَّا أنفق .

والخامسة : فى هذا الحديث ما يدل على عظيم فضل الله ـ تعالى ـ على خلقه حيث عوَّض على المنفق فى الدنيا ، وأثابه يوم القيامة الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، ففى الإنفاق ثوابان ، كما أن قائم الليل يثاب على قيامه فى الآخرة بالجنة ، ويثاب عليه فى الدنيا بالعافية فى جسمه بطرد البلاء عنه .

والسادسة : أن الله ـ تعالى ـ جعل يد المنفق هى العليا :

قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **(اليد العليا خير من اليد السفلى)**[2] فإذا بخل صارت يده أقل من السفلى ؛ لأن المعطى يده عليا لأنه منفق ممتثل لأمر ربه ، والآخذ يده سفلى وهو شاكر نعمة ربه ، والبخيل الممسك متجرد عنهما .

والسابعة : أن المنفق تخلَّق بأخلاق الله ـ تعالى ـ :

قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **(تخلقوا بأخلاق الله)** والمنفق تخلَّق أيضًا بأخلاقه ﷺ ـ فقد كان أكرم من الريح المرسلة .

فالله ـ تعالى ـ منفق كريم ، وأمر بالإنفاق ، وهو يحب الإنفاق ، والنبى ـ ﷺ ـ كريم يحبّ الإنفاق وأمر به ، فالمنفق حبيب الله ـ تعالى ـ وحبيب رسول الله ﷺ .

---

(١) سبأ/ ٣٩ .

(٢) رواه مسلم والترمذى .

والثامنة : أن الممسك تخلَّق بأخلاق إبليس ؛ لأنه بخيل ويأمر بالبخل ، قال الله ـ تعالى ـ : (**الشيطان يعدكم الفقر**)[1] أى : إذا أردتم الإنفاق فى سبيل الله خوَّفكم بالفقر ، وأمركم بالإمساك ، فالممسك عن الإنفاق حبيب الشيطان ، عدوّ الرحمن .

فعليك يا أخانا فى الله ـ تعالى ـ بكثرة الإنفاق فى مشاهدة الخلاَّق من أنفاسك العزيزة ، وبكثرة الأذكار وإبلاغ الحِكَم من كلماتك المفيدة ...

واعلم أنك كلما أنفقت من علمك زادك الله منه :

سُئِل سيدنا علىّ ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ : العلم أفضل أم المال ؟ فقال : العلم . قيل لِمَ ؟ قال : لأن المال ينقص بالإنفاق ، والعلم يزيد به .

واعلم أن خزائن ذخائرك زاخرة : أذنان تسمعان ، وعينان تبصران ، ويدان تبطشان ، ورجلان تمشيان ، ولسان ناطق وعقل مفكر . فأنفق من سمعك فى سماع حَسَنِ القول .

قال ـ تعالى ـ : (**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**)[2] وانظُرْ بعينك فى ملكوت السمٰوات والأرض :

قال الله ـ تعالى ـ : (**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها ومالها من فروج**)[3].

وقال ـ تعالى ـ : (**ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور**)[4]

ويداك : أنفق منهما مساعدة الضعيف وإعانته ، ورجلاك بالمشى إلى المساجد ، لا سيما فى الظلمات ، ولسانك بالأمر بالمعروف والنهى عن

---

(١) البقرة / ٢٦٨ .
(٢) الزمر / ١٨ .
(٣) ق / ٦ .
(٤) الملك / ٣ .

المنكـر ، وتعليم المسلمين ، وعقلـك بـالتفكـر فى مخلـوقـات الله ، قال تعالى :

(ويتفكرون فى خلق السمٰوات والأرض) (١)

فمن أنفق من جوارحه خيرًا أنزل الله عليه خيرًا ، وثواب الآخرة أعظم ، ومن أنفق من جوارحه شرًّا لقى شرًّا فى الدنيا ، (ولعذاب الآخرة أشدُّ وأبقى) (٢)

واعلم أنك لا تصـل إلى مـا وصـل إليـه المجـدُّون حتى تجعل جميع جوارحك مصادر خيرٍ محض ، لاشية فيها من جميع الوجوه ، وتلازم المراقبة لله ـ تعالى ـ وتـؤدب نفسك ، وتنمِّى روحك ، ولا أرى لك إصلاحًا أسرع من هذا .

فعليك يا أخـانا ـ وفقك الله ـ بالإصغاء إلـى قولى هذا ، فعن قـريب ترى عجـائب الروح منك بك حيث لا حجـاب يحجبك ، ولا شـاغل يشغلك ، وبمشـاهدتك للحق تعـالى مشاهـدة خـارجا بهـا عن جميع المحسوسـات والمعقولات ، نافيا مثبتـا ، متصلا منفصلا ، فانيا باقيـا ، وهناك تذوق حلاوة الإيمان التى عبر عنها المعبرون والناظمون ، فمنهم من قال :

غرقت فى بحر الحب ... ...

ومنهم من قال :

شربنا على ذكر الحبيب ... ...

ومنهم من قال :

أشاهد معنى حسنكم فيلذ لى ... ...

فمن دخل البحر وانغمس فيه قال : غرقت ، وتـرجم لسانه عن حاله حتى قال :

(وأوقفنى وراء الـوراء بلا حجـاب عنـد اسمك المحيط فى مقام السمـاع العام ، حتى تطربنى لذة المكالمة الإلهية ...)

---

(١) آل عمران / ١٩١ .

(٢) طه / ١٢٤ .

ومن شرب قال : سكرنا ، ومن شاهد الحسن ، قال : تلذذنا بمشاهدة الحسن ، وقد اتحدت الوجهة ، واختلفت الواردات على وفق الاستعدادات .

فهيّىء روحك بالتمسك بالكتاب والسنة حتى تكون على القدم المحمدى الراسخ حاضرا غائبا .

نقل الغزالى ـ رحمه الله ـ عن سيدنا على ـ كرم الله وجهه ـ : إن لله رجالا هم الناس بأجسامهم وقلوبهم معلقة بالملأ الأعلى .

وأراك ـ إن شاء الله ـ بذلك تكون داخلا فى حزب القائل :

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى ... وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس ... وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

والقائل :

جمالك فى عينى وذكرك فى فمى ... وحبك فى قلبى فأين تغيب

والقائل :

إن شمس النهار تغرب بالليـ ... ـل وشمس القلوب ليست تغيب

والقائل :

لئن لم أحج البيت قد شط ربعه ... حججت إلى من لا يغيب عن السر
ومن رام نفرا بعد حج فإننى ... مقيم على نسكى حياتى بلا نفر

والقائل :

ومن عجب أنى أحن إليهم ... وأسأل شوقا عنهمُ وهُمُ معى
وتبكى لهم عينى وهم فى سوادها ... ويشكو النوى قلبى وهم بين أضلعى

وعند ذلك تكون صائما قائما ، محبا هائما ، مجدا مستعدا ، متهيئا للقاء

رب كريم ، مغتنمًا الفرص ، معمرًا الفراغ بما يجدى نفعا ، فارا من كل ما يقطعك عن الله قطعا ، مستعدا للقاء البارى ، مرددا لكلمات البخارى :

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع ∴ فعسى أن يكون موتك بغته
كم صحيح من غير سُقم رأينا ∴ ذهبت نفسه الشريفة فلته

وقول الناظم :

تهيأ للذى لابد منه ∴ فإن الموت ميقات العباد
أترضى أن تكون رفيق قوم ∴ لهم زاد وأنت بغير زاد

فمت قبل أن تموت ليسهل عليك الموت ، واخل قبل أن تفرد فتصعب عليك العزلة ، واترك الأنس بالناس لابه خشية أن يشق عليك فراقهم .

وشاهد قبرك قبل أن تدخله لئلا تستوحش منه ، وفى هذا القدر كفاية لمن لاحظتهم عين العناية .

قال الناظم :

وإذا العناية لاحظتك عيونها ∴ نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطدبها العنقاء فهى حبائل ∴ واركب بها الجوزاء فهى عنان

قال النووى رحمه الله نقلا عن غيره : السعادة قبل الولادة ، والعناية قبل الولاية .

هذا وأسأل الله لى ولك صلاح الحال وبلوغ الآمال . آمين .

الحديث الثانى والعشرون

قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

« ما من مسلم يغرس غرسًا ، أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » (١)

★ ★ ★ ★

قال شارح صحيح البخارى الشيخ القسطلانى ـ رحمه الله ـ :

« قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : **(ما من مسلم يغرس غرسًا)** بمعنى المغروس أى : شجرًا » .

قلت : فيكون من باب إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول ، فهو مجاز مرسل كما فى قوله ـ تعالى ـ : **(هذا خلق الله)** (٢)

أى : مخلوق الله ؛ لأن المصدر حدث ، والحدث لا يُرى ، وإنما تُرى الذات التى قام بها الحدث ، فهو أحد مدلولى الفعل ...

قال ابن مالك ـ رحمه الله ـ :

المصدر اسم ما سوى الزَّمان مِن ... مدلولِي الفعل كأَمْنٍ من أَمِنْ

وهو شبيه بالروح فى أنها لا ترى ، وإنما يرى مكانها ، وذلك لحكمة لطيفة ؛ لأن الروح من أمر الله ، وأمر الله لا يرى ، والجسم من خلق الله ، وخلق الله يُرَى ، ولأن الروح تذكرك الغيب فهى من عالمه ، والجسم يذكرك الشهادة فهو من عالمها ...

فكما أيقنت بانفعالات روحك وآثارها مع عدم رؤيتك لها آمِنْ بأفعال الملائكة مع عدم رؤيتك لهم ، فإذا علمت ذلك وأيقنت به فاعلم أن الربّ الأجلّ من الغيب ، وهو خالق كل شىء ، ولا يُرى بل تُرَى أفعاله ؛ لأنك لو رأيته لتساوى مع خلقه ، وهو ليس كمثله شىء ، فعينك الحادثة ترى

---

(١) رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه .

(٢) لقمان : من الآية (١١) .

الحوادث ولا ترى القديم الأزلى ؛ إذ لو رأيته لكتب لك البقاء السرمدى ، ولا يفنى جسمك بعد .

ولمَّا كتب الله الفناء على العوالم العلوية والسفلية حجب عنها ، فأهل السماء بالنسبة إلى النظر للحق ـ جلَّ وعلا ـ كأهل الأرض .

قال ـ ﷺ ـ : « **لا تفضلونى على يونس بن متَّى** » (١)

يعنى : حينما كنت فوق السماء السابعة ، فإن علم ربى وإحاطته بى وسماعه لكلامى ، كعلمه وإحاطته وسماعه ليونس فى ظلمات ثلاث : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت .

قال القسطلانى ــ رحمه الله ـ : « قوله ـ ﷺ ـ : (**أو يزرع زرعًا**) أى : مزروعًا ، فأو للتنويع ؛ لأن الزرع غير الغرس » .

قلت : القول فى الزرع كالقول فى الغرس ، وهناك غرس وزرع آخران ، فيغرس المؤمن ذرية طيبة تنفعه فى الدنيا والآخرة ، كما فى الحديث « **أو ولدٍ صالح يدعو له** » (٢)

ويزرِّع الأعمال الصالحة المتنوعة التى أرضها صفحات القلوب ، وماؤها من سماء الغيوب ، وزرعها فعل الواجبات وترك المنهيات ، ورضاء بالقضاء ، وجهاد للنفس ، وشكر وصبر لدى البأساء والضراء وحين البأس ، فهنيئا لأرض القلوب القيعان ، حينما هطل عليها غيثُ وابلِ معانى القرآن ، فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، فشمرت النفس عن ساعد جدها للوصول إلى مجدها ، ونظرت إلى اللذات نظر المستريب ، وفرت من غوائل الدنيا فرارها من الغول ، واشتغلتْ بربها بعد أن شغفها حب جنته ، وشغفها حب كرامته ، فصبرت بجسمها لحكم ربها حتى جاءها اليوم الموعود ، فسمعت

---

(١) ذكره ابن كثير فى قصص الأنبياء (مناقب سيدنا يونس عليه السلام) .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

النداء بعد التسليم والبشرى : (**يا أيتها النفس المطمئنة ○ ارجعى إلى ربك راضية مرضية**)[1]

قال القسطلانى ـ رحمه الله ـ : قوله ـ ﷺ ـ : (**فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقه**)

« **صدقةٌ** » : بالرفع اسم كان ، والتعبير بالمسلم يخرج الكافر ، فيختص الثواب فى الآخرة بالمسلم دون الكافر ؛ لأن القُرَب إنما تصح من المسلم ، فإن تصدَّق الكافر أو فعل شيئا من وجوه البِرّ لم يكن له أجر فى الآخرة .

نعم ! إن ما أُكِل من زرع الكافر يثاب عليه فى الدنيا كما ثبت دليله ، وأما قول من قال : يخفّف عنه بذلك من عذاب الآخرة فيحتاج إلى دليل .

وفى الحديث الذى رواه مسلم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ :

« **قلت : يا رسول الله : ابن جدعان ـ فى الجاهلية ـ كان يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذلك نافعه ؟ قال : لا ينفعه إنه لم يقل يومًا : ربِّ اغفر لى خطيئتى يوم الدين** » .

يعنى : لم يصدق بالبعث ، ومن لم يصدق به فهو كافر ولا ينفعه عمل ، ونقل عياض ـ رحمه الله ـ الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب ، لكن بعضهم أشد عذابًا من بعض بحسب جرائمهم .

وأما حديث أبى أيوب الأنصارى الذى رواه الإمام أحمد مرفوعًا :

« **ما من رجل يغرس غرسًا** » ، وحديث : « **ما من عبد** » فظاهرهما يتناول المسلم والكافر، لكن يحمل المطلق على المقيد .

والمراد بالمسلم : الجنس ، فتدخل فيه : المرأة المسلمة .

وقد روى مسلم ـ رحمه الله ـ هذا الحديث بزيادة فيه ، فأردت ذكرها لزيادة الفائدة ، فأقول بعون الله :

---

(١) الفجر : ٢٧ ، ٢٨ .

عن جابر بن عبد الله الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق منه له صدقة ، وما أكل السبع منه فهو له صدقة ، وما أكلت الطير فهو له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة » ...

قال الإمام النووى ـ رحمه الله تعالى ـ فى شرحه لصحيح مسلم :

« فى هذه الأحاديث فضيلة الغرس ، وفضيلة الزرع ، وأن أجر فاعل ذلك مستمر ما دام الغرس والزرع وما تولد منه إلى يوم القيامة ، وقد اختلف العلماء فى أطيب المكاسب وأفضلها فقيل : التجارة ، وقيل الصنعة باليد ، وقيل : الزراعة وهو الصحيح ، والثواب مختص فى الآخرة بالمسلمين » اهـ .

قلت : قد اجتمعت فى هذا الحديث فوائد شتَّى للغارس والزارع :

الأولى : أن ما عنده إذا بلغ النصاب أخرج زكاته ، فيثاب عليه ثواب الواجب .

والثانية : أنه يتصدق منه تطوعًا ، فيثاب عليه ثواب صدقة التطوع . فهذان ثوابان يختلفان بالنية .

والثالثة : أنه إذا قدم شيئًا من التمر والحبّ إلى والديه أُثِيبَ ثواب الواجب ، وكُتِب بارًا بوالديه ، أو قدَّمه إلى ذوى أرحامه ، كُتِب وصولاً للرحم .

والرابعة : إذا قدَّم شيئا إلى زوجته وأولاده ، أُثيب عليه ثواب الواجب .

والخامسة : إذا وهب شيئا ، كُتِب له ثواب الهبة .

والسادسة : إذا أهدى شيئا كتب له ثواب الهدية ، وكان عاملاً بحديثه ـ ﷺ ـ : « **تهادوا تحابوا** »[1] .

والسابعة : إذا أقرض إنسانًا شيئًا كتب له ثواب القرض ثمانية عشر مثلاً ، وهذه السبعة يمكنه أن ينوى فيها الثواب .

---

(١) الحديث رواه مالك فى الموطأ وهو قوله ﷺ : « تصافحوا يذهب الغل ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء » .

والثامنة : أن له ثواب ما أكل الطير والحيوان والسباع والسارق ، وما يغلبه فيه الشركاء وغيرهم ، وهذه الأشياء يثاب عليها من غير نية .

والتاسعة : وهى الفائدة الكبرى : أن مكان الغرس لا يخلو من الظل البارد ، والماء البارد ، والرطب والتمر ، فما استُظِلَّ فيه بظلّ الغرس ، وأُكِل من التمر ، وشرِب مِن الماء ، كُتِب للغارس ثواب ذلك كله ، وقيل : هذا هو نعيم الدنيا .

(**فائدة**) قال الشيخ عبد السلام ـ رحمه الله ـ فى شرحه على الجوهرة فى علم التوحيد :

« الفرق بين الحكمة والعلة : أن الحكمة ليست علة فى الفعل ، ومِثْلُ ذلك الظلّ للشجر ، فإن الغارس لم يجعله علة للغَرْس ، وإنما جاء عفوًا بعد ظهور الشجر ، وأما العلة فتكون باعثة على الفعل ، كالماء فإنه علة فى حفر البئر.

قال تعالى : (**وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون**) (١)

أى : ليكون مصيرهم إلى العبادة ، وهى لم تكن علة فى خلقهم ؛ لأن أفعاله ـ تعالى ـ منزهة عن العلل » اهـ .

فعليك يا أخانا فى الله ـ تعالى ـ بغرس أشجار المحبة الإلهية فى أرض قلبك ، من قوله ـ تعالى ـ (**يحبهم ويحبونه**) (٢)

واسقها بماء المجاهدة من قوله ـ تعالى ـ : (**وجاهدوا فى الله حق جهاده**) (٣) حتى تثمر ثمر اليقين ثم يرتقى إلى علم اليقين ، ثم يرتقى إلى عين اليقين ، وهناك ترى ما لا يراه الناظرون ، وتسمع مالا يسمعه السامعون ، فى حضرة :

---

(١) الذاريات / ٥٦ .
(٢) المائدة / ٥٤ .
(٣) الحج / ٧٨ .

(**كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ولسانه الذى ينطق به**)[1] . فلا يصل شيء من ثمر جواهر حديثك إلى مخلوق إلا كان لك به صدقة ، سواء سمعه أو قرأه ، أو نقله الغير منك إليه ، ويدوم لك ذلك إلى يوم القيامة ، فلا ينقطع أجرك وأنت فى قبرك ، وبذلك تدخل فى ميدان حظيرة :

« **العلماء ورثة الأنبياء** »[2] إذ الأنبياء لا تنقطع أجورهم بعد الموت ، فتكسى ثوب الوراثة النبوية ، الذى به تكون على الكتاب والسنة ، مكمَّلاً كمالاً إلهيًا محمديا ، منفصلا متصلاً ، مستغرقًا فى مشاهدة الواسطة العظمى والحجاب الأعظم ، ظاهرًا وباطنًا ، يقظة ومنامًا ، فى جميع أحوالك وأقوالك ، ممتدًا ممدًا من الذى انشقت منه الأسرار ، وانفلقت الأنوار ، كاشفًا عن أسرار الجمل والكلمات ، بالسر السارى فى جميع الأسماء والصفات ، حيث لا جمع ولا فرق ، بل حبّ وشوق ، ذاكرًا له فى حضرة الإطلاق ؛ إذ لاحضرة إلا وفيها من ليس معه لبابٍ إغلاق ، فمنهم من أخذته الدهشة فنسى ، ومنهم من تقوَّتْ روحه فشاهد فى حضرة الله وعند ذكر الله حبيبَ الله ، تاليًا قوله تعالى : (**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**)[3] وإنى لأرجو أن يكون لك الحظ الوافر من هذا البحر الزاخر ...

---

(١) من حديث رواه البخارى وقد تقدم .
(٢) رواه البخارى .
(٣) الفتح / ١٠ .

الحديث الثالث والعشرون

عن عدى بن حاتم ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم :

« **اتَّقُوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجد فبكلمة طيبة** » . متفق عليه .

★ ★ ★ ★

(**اتقوا**) : من الوقاية أى : اجعلوا وقاية بينكم وبين النار يوم القيامة بالصدقة ، فقد ورد الحديث عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال : « **إن الصدقة لتطفىء غضب الربّ** » (١).

ولا يستصغر الإنسان صدقة ؛ لأن الله ـ تعالى ـ يقبل الصغيرة والكبيرة ويكافئ عليها ، قال ـ تعالى ـ : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره**) (٢)

(**ولو بشق تمرة**) : مبالغة فى الدلالة على القليل ، أى : ولو كانت الصدقة قليلة على قدر نصف تمرة .

وفى هذا الحديث حثّ على فعل الصدقة ، وأن الإنسان لا يحتقر صدقة قدمها لله ـ تعالى ـ

وقد جاء فى القرآن الكريم أن الله ـ تعالى ـ يضاعف الحسنة مهما كانت .

قال تعالى : (**وإن تك حسنة يضاعفها**) (٣) أى : ينميها عنده ، كما يربى الرجل ابن فرسه الصغير ...

وفى الحديث : « **كما يربى أحدكم فَلُوّه** » (٤)

« فلوّه » : أى ابن فرسه الصغير .

روى أن سائلاً سأل أم المؤمنين السيدة عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ

---

(١) رواه الترمذى وابن حبان عن أنس رضى الله عنه .

(٢) الزلزلة / ٧ .

(٣) النساء / ٤٠ .

(٤) جزء من حديث رواه مالك فى الموطأ ولفظه :

« من تصدق بصدقة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا طيبًا ، كان إنما يضعها فى كفّ الرحمن ، يربيها كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثل الجبل » .

فأعطته حبة عنب واحدة، فقال : ما هذه يا أماه ؟ ! فقالت له : انظر كم فيها من ذرة !! ثم تلت قوله ـ تبارك وتعالى ـ : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره**) ثم قالت للسائل : هذه حبة عنب أعطيتها لك من عنقود عنب احتبسته لإفطار النبى ـ ﷺ ـ !! ففرح السائل لمَّا علم ذلك ثم انصرف .

وقد رأوها ـ رضى الله تبارك وتعالى عنها ـ أنها إذا أرادت أن تتصدق بدرهم عطَّرته بمسك النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثم تعطيه للفقير ... فقيل لها فى ذلك ، فقالت : سمعت النبى ـ ﷺ ـ يقول :

« **إن الصدقة تقع فى كفّ الرحمن قبل أن تقع فى كف الفقير** » أو كما قال ...

(**فإن لم تجد**) : فيه التفات عن الجماعة إلى الفرد ، أى : فإن لم تجد حقيقة أو وجد شيئًا وكان محتاجًا له فى النفقة الواجبة كالنفقة على الزوجة والأولاد والوالدين فإنها واجبة ، وعلى الفقير مستحبة ، ويقدم النفقة الواجبة على المستحبة ... أقول : والنفقة على هؤلاء يثاب عليها ثواب الفرض ، وتكون له بها وقاية من النار ، فهى أفضل من الصدقة على الفقير .

(**فبكلمة طيبة**) الطيبة : هى التى يرضاها الله ـ تعالى ـ ويثاب عليها قائلها ، وتطيب خاطر سامعها ، وقد أمر الله ـ تعالى ـ بها ، حيث يقول : (**وقولوا للناس حسنًا**) [1] وفى الحديث : (**والكلمة الطيبة صدقة**) [2]

وقد ضرب الله ـ سبحانه ـ لنا مثلاً فى القرآن الكريم للكلمة الطيبة بقوله ـ عز وجل ـ :

(الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ★ تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها) [3]

---

(١) البقرة/ ٨٣ .

(٢) رواه البخارى ومسلم والإمام أحمد رضى الله عنهم .

(٣) إبراهيم/ ٢٤ ، وبعض آية ٢٥ .

والمراد بالشجرة ـ هنا ـ : النخلة ، فشبه ـ سبحانه وتعالى ـ الكلمة الطيبة بالنخلة ؛ لما حوت من المنافع ، وشبه الكلمة الخبيثة بالحنظلة لمرارة طعمها ونتن ريحها ...

ومولد الكلمة الطيبة أو الخبيثة : اللسان ، وقد أمسك رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بلسانه الشريف ، قائلاً لسيدنا معاذ ـ رضى الله تعالى عنه ـ « **ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكبّ الناس على وجوههم فى النار إلا حصائد ألسنتهم** » (١)

ففى الحديث : الاهتمام بالصدقة وإن كانت صغيرة وأنها تقى النار ، والاهتمام بالكلام الطيب وأنه يقى النار .

وكما يجلب اللسان الحسنات العظيمة يجلب الكبائر من الذنوب ، وكما يتسبب فى رضوان الله ـ تعالى ـ يتسبب فى غضبه ـ تعالى ـ ، فاشغل لسانك بما يرضى خالقك فتسلم ، ولا تشغله بما يغضبه فتندم ! وفى الحديث : «**رحم الله امرأ سكت فسلم أو تكلم فغنم** » (٢)

قال شهاب الدين الخفاجى ـ رحمه الله تعالى ـ : إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب .

وقال الرسول ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ :

« **كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسّى القلب ، وإن أبعد القلوب من الله تعالى القلب القاسى** » (**لا تكثروا الكلام ، بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم ، فإن القلب القاسى بعيد من الله**)

رواه مالك فى الموطأ

وفى شرح رسالة أبى زيد المالكى ـ رحمه الله تعالى ـ أن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ دخل على أمير المؤمنين

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن أنس .

سيدنا أبى بكر الصديق ـ رضى الله تعالى عنه ـ فرآه يمدُّ لسانه ، فقال عمر : مَهْ يا أبا بكر ! فقال أبو بكر : دعنى فإنه أوردنى الموارد .

قال أبو زيد المالكى : ورأى بعضهم الصدّيق ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى النوم ـ بعد موته فقال له : ما أوردك لسانك ؟ فقال : أوردته لا إله إلا الله فأوردنى الجنة ! .

وقد قال بعض الصالحين : جعل الله ـ سبحانه ـ للّسان بيتين من العظم واللحم ، ولكن ما أسرع تفلته إذا أراد أن يتكلم !!

وقد ذكر بعض شراح الأحاديث : أن رجلاً مرَّ على رأس مقطوعة فنظر إليها ، وقال : من قتل هذه ؟ ! فأنطق الله ـ تعالى ـ له الرأس فقالت : قتلنى لسانى ، فحمل الرجل الرأس إلى الملك ، وقال له : هذه الرأس تتكلم ! فحادثها الملك فلم ترد عليه ! فقال الرجل : أتهزأ بى ، وأمر بقتله ، فلما ذهبوا به للقتل ، نطقت الرأس فقالت للملك : ماذا قال لك الرجل ؟ ! فأمر الملك به فأحضر ، فقال له : ماذا قالت لك الرأس ؟ قال : قالت لى : قتلنى لسانى ، فقالت الرأس للرجل على الفور : أفلم تتعظ ؟ ! فعفا الملك عنه وأطلقه ! ثم أنشد راوى القصة بعد ذلك :

احفظ لسانك أيها الإنسانُ ∴ لا يلدغنّك إنه ثعبانُ
كم فى المقابر ميت بلسانه ∴ كانت تهاب لقاءه الشجعانُ

وقال الشاعر:

جراحات السنان لها التئام ∴ ولا يلتامُ ما جرح اللسانُ

وفى حفظ اللسان حفظ للإنسان ، قال شيخنا الشيخ محمد إبراهيم السمالوطى ـ رحمه الله تعالى ـ فى شرح حديث : (**احفظ الله يحفظك**)[1] أى : احفظ أعراض الناس من لسانك يحفظ الله عرضك من ألسنتهم ... واستمر ساعة كاملة ، وهو يدرس ويشرح فى هذا الحديث .

---

(١) رواه أحمد والترمذى .

الحديث الرابع والعشرون

عن أبى عامر الأشعرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« أهل الجنة كل هين لين سهل قريب ، وأهل النار كل شديد قبعثرى ، قالوا وما قبعثرى يا رسول الله ؟ قال : الشديد على الأهل ، الشديد على الصاحب الشديد على العشيرة »

أخرجه الديلمى والشيرازى فى الألقاب

والسيوطى فى جمع الجوامع .

★ ★ ★ ★

يصف النبى ﷺ أهل الجنة بقوله : « **هين لين سهل قريب** » وذلك بالمؤمنين كما قال تعالى : (**رحماء بينهم**)[1] فالمؤمن من يكون مع أخيه المؤمن هينا ليس صعبا قاسيا ، سهلا ليس وعرا ، قريب الرضا ليس ببعيده ، وفى الحديث : « **المؤمن هين لين سريع الغضب قريب الرضا** » .

فالمؤمن حقا يعمل بقوله تعالى : « **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس** »[2] وبقوله تعالى : « **وإذا ما غضبوا هم يغفرون** »[3] وبقوله تعالى : « **ويدرأون بالحسنة السيئة** »[4]

يعنى من قدم إليهم سيئة قدموا إليه حسنة ، وهذه الصفة من أجل مكارم الأخلاق ، وقد وعد الله فاعلها بأن عدوه يكون بعد العداوة ناصرا له محبا حبا عظيما ، فتلك مكافأة معجلة فى الدنيا للذين يتصفون بهذه الصفة الكريمة ، وقلت بفضل ربى تعالى :

كن هينا لينا للخلق تألفهم ... ويألفوك وهذا الوصف محمود

---

(١) الفتح : ٢٩ .

(٢) آل عمران : ١٣٤ .

(٣) الشورى : ٣٧ .

(٤) الرعد : ٢٢ .

وفى الحديث قال عليه الصلاة والسلام : « **المؤمن من يألف ويؤلف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف** » وقال تعالى : « **وألف بين قلوبهم**»[1]

فالألفة التى بين قلوب المؤمنين منة من أعظم المنن ، ونعمة من أجل النعم ، إذ بها يحصل التحابب والتعاون والتآزر ، فلا يسمح المؤمن بضرر أخيه ومقاطعته واستسلامه لعدوه بل يكون له أخا ، كريما لالئيما ، مساعدا لا معاندا ، مواصلا لا مقاطعا ، محققا قول الحق سبحانه : «**فأصبحتم بنعمته إخوانا** »[2]

وقد وصف ﷺ أهل النار بالشدة على الأهل والصاحب والعشيرة ، وفى الحديث : « **والمنافق إذا خاصم فجر** »

فلا تكن شديدا على أهلك فيبغضوك ولا على أصحابك فيهجروك ، ولا على العشيرة فيبدلون العشرة قطيعة لك .

وقد قال الله تعالى : « **إن ذلك لحق تخاصم أهل النار** »[3] فوصف الله سبحانه أهل النار بالتخاصم وهم فى النار ، ووصف أهل الجنة بالإخلاص والأخوة فى الجنة فقال سبحانه : « **ونزعنا ما فى صدورهم من غِلٍّ إخوانا على سررٍ متقابلين** »[4] فأهل النار أهل تباغض وتقاطع فى الدنيا والآخرة ، وأهل الجنة أهل توادد وتحابب فى الدنيا والآخرة ، قال عليه الصلاة والسلام : «**أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة** »

---

(١) الأنفال : ٦٣ .
(٢) آل عمران : ١٠٣ .
(٣) سورة ص : ٦٤ .
(٤) الحجر : ٤٧ .

الحديث الخامس والعشرون

قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

« إن لله ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله عليه أمر دينه ودنياه ، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله له شيئا : حرمة الإسلام وحرمتى وحرمة رحمى »

★ ★ ★ ★

الحرمات : الحقوق

فمعنى حرمة الإسلام : أى ما يطلبه الإسلام من المسلم ، وهى أمور كثيرة لا يكمل الاسلام إلا بها كقوله ﷺ : **« المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »** (١) وكقوله ﷺ :

« المسلم أخو المسلم ... » (٢) وكقوله ﷺ : **« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ... »** وكقوله ﷺ : **« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله »** (٣) وكقوله تعالى : **« بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان »** (٤)

وبالجملة فمن راعى ما وجب فى الاسلام ففعل ، وما حرم فترك ، فقد عظم حرمة الإسلام ، ويدخل فى قوله ﷺ : **« احفظ الله يحفظك ... »** ومن لم يكن كذلك فلم يعظم حرمة الإسلام ، وحينئذ فمن أضاع فجزاؤه الضياع ، وفى الحديث : **« تدعو الصلاة على من أضاع وقتها فتقول : ضيَّعك الله كما ضيعتنى »** .

---

(١) الحديث رواه أحمد بن حنبل وغيره عن أبى هريرة .

(٢) رواه أبو داود عن سويد بن حنظلة .

(٣) رواه أبو هريرة ، وأخرجه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٤) الحجرات : ١١ .

وحرمة النبى ﷺ حقه الذى أوجبه الله تعالى علينا كطاعته فى قوله وفعله واحترامه وتوقيره وتكريمه ، والاعتراف بفضله وشفاعته وجاهه ورفع ذكره وعلو درجته ، وأنه موصوف منذ خلقه الله تعالى بالزيادة فى الإيمان والعلوم والأنوار والدرجات والبركات والأسرار والنفحات والخيرات .

وكذلك يكون بعد أن لحق بالرفيق الأعلى أعلى مقاما وأجل إكراما وأوسع علما وإدراكا وكشفا وشهودا وسماعا وردا للسلام ، ولا يجوز لمؤمن أن يعتقد فيه غير ذلك أو أنه قد مات كموت الخلق ، بل أحياه الله تعالى بعد موته بحياة تفوق حياة النبيين والمرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وحياة الشهداء ، وحياة الملائكة الكرام ، وحياة الأحياء من أهل الدنيا ، ويجب عليك أن تحبه ﷺ أكثر من نفسك ، وأن تصلى وتسلم عليه وأن تزور روضته الشريفة لتحظى برد سلامه ﷺ عليك ، وتحصل لك بركته ﷺ وبركة نظره إليك ودعائه لك ، وقلت بفضل ربى تعالى :

يا زائرا ذاك الضريح ومن به ... وافاك سعد قد حظيت بقربه
سلم عليه وسله خير شفاعة ... فهو الشفيع كذا الحبيب لربه
أنت السعيد إذا وصلت لبابه ... سلم على ذاك النبى وصحبه

وحرمة رحمه ﷺ هى الحقوق التى تجب لهم علينا ، كمودتهم وصلتهم وحبهم أكثر من أهل بيوتنا واحترامهم وتوقيرهم والاعتراف بفضلهم ، وأن الله تعالى قد اختارهم أهل بيت وقرابة لنبيه ﷺ :

قال سبط رسول الله ﷺ أبو محمد سيدنا الحسن بن سيدنا على رضى الله عنهما : (إن الله تعالى لم يبعث نبيا حتى يختار له رهطا وأصحابا وأهل بيت ، وقد اختارنا الله تعالى أهل بيت لنبيه ﷺ)

فمنهم من تشرف به ﷺ شرف نسب كالعترة الطاهرة النبوية وهى ذريته ﷺ ، أو شرف انتساب وهن زوجاته ﷺ أمهات المؤمنين رضى الله عنهن ، أوشرف قرابة كالأعمام والعمات ، ويكفيك قول الله تعالى :

« قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى »[1] وقوله تعالى : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا »[2] وقوله تعالى : « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد »[3]

وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل أهل بيت النبوة رضى الله عنهم ، ومن أعظم الصله لهم زيارتهم بعد مماتهم والتسليم عليهم ، والترضى عنهم .

(١) الشورى آية ٢٣ .
(٢) الأحزاب آية ٣٣ .
(٣) هود آية ٧٣ .

عن أنس رضى الله عنه قال : « **قال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يزورها ، فلما انتهينا إليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خير لرسوله ـ ﷺ ـ قالت : ما أبكى أن لا أكون أعلم ما عند الله خيرا لرسوله ، ولكنى أبكى أن الوحى انقطع من السماء فهيجتنا على البكاء فجعلا يبكيان معها** »

رواه مسلم وأخرجه العامرى فى كتاب بهجة المحافل .

★ ★ ★ ★

قال النووى رحمه الله : فى هذا الحديث فضيلة زيارة الصالحين ، وزيارة الفاضل للمفضول ، والتأسى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وزيارة الرجل للمرأة الصالحة وسماع كلامها ، واستصحاب نحو العالم صاحبا له فى الزيارة والعبادة ونحوهما ، والبكاء حزنا عند فراق الصالحين والأحباب وإن كانوا قد انتقلوا إلى أفضل مما كانوا عليه ، والبكاء من غير صوت .

الحديث السابع والعشرون

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« ليس منا من لم يبجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه »

رواه أحمد بن حنبل والحاكم ، وكذا رواه سيدى أحمد بن ادريس فى روح السنة .

★ ★ ★ ★

تبجيل الكبير : احترامه وتوقيره لكبر سنه ، وذلك من عادة الأشراف والعرب إلى يومنا هذا .

ورحمة الصغير : الشفقة والعطف عليه لضعفه وصغر سنه وعقله .

ويعرف للعالم حقه من الإرث المحمدى ، قال عليه الصلاة والسلام **«العلماء ورثة الأنبياء»**

وحقَّ الأفضلية ، قال عليه الصلاة والسلام : **« فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم »** [1] فمعرفة حق العالم واجبة على كل مسلم ، ويجب احترامه لأجل الخلافة ، قال عليه الصلاة والسلام : **« رحم الله خلفائى ، قالوا : ومن خلفاؤك يا رسول الله ؟ قال : الذين يأتون من بعدى يبلغون الناس سنتى »** والأمة بخير ما دام العلماء فيها ، والأمة بخير ما وقرت علماءها واستمعت لأقوالهم وعملت بها ، قال البوصيرى رحمه الله :

لم نخف بعدك الضلال وفينا ... وارثو نور هديك العلماء

---

(١) رواه الترمذى عن أبى أمامة .

الحديث الثامن والعشرون

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

(إن الله ـ تعالى ـ يقول يوم القيامة : يا ابن آدم : مرضت فلم تعدنى . قال : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلانًا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عُدْته لوجدتنى عنده ، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى . قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ، يا ابن آدم : استسقيتك فلم تسقنى . قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندى) . رواه مسلم .

★ ★ ★ ★

قال الشريف ابن ادريس : (من كان للخلق جنة ورحمة وظلا ظليلا يستريحون فيه كان الله له كذلك ، فمن أكرم عبدا مراعاة لسيده فإنما أكرم السيد ...)

وقال رضى الله عنه : (فسر سبحانه نفسه فى قوله : جعت ، ومرضت ، واستسقيت بقوله : جاع عبدى فلان ، فمعاملة العبد لملاحظة سيده هى معاملة السيد بلا شك)

قلت : إذا علمت أن ربك عند غيرك موجود فهل أيقنت أنه معك ، وهل راعيت تلك المعية فى معاملتك لنفسك فرحمت جوعها إذا جهلت فأطعمتها علما ؟ أو إذا مرضت بالذنوب والغفلة فعالجتها بالتوبة والاستغفار ؟ أو عطشت بحب الدنيا فأرويت ظمأها بتزهيدها فيها ؟

وإذا علمت أن معك العليم ، وهو يحب العلماء ويكره الجهلاء فسارع إلى مجالس العلم لتحظى بالعلم الموصل إلى حب الله تعالى لك ، وفى الحديث : « **أوحى الله تعالى إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام :**

يا إبراهيم ... إنى عليم أحب كل عليم » وقلت بفضل ربى :

سـارع إلى أهل العلـوم فـإنهم أهل الغـذاء بهم ضيـاء الأنفس
إن قـدم الغيـر النفيس فـإنهم قـد قـدموا شهـد الشفـاء الأنفس

وسارع إلى التوبة الصادقة الموصلة إلى محبة الله تعالى لك، قال تعالى : «إن الله يحب التوابين[1] » فيا حبذا التوبة الموصلة إلى المحبة ، فمن تاب فقد أناب ، ومن أناب فقد آب ، ومن آب فقد طرق الباب ، ومن طرق الباب يوشك أن يفتح له الباب ، ومن فتح له الباب شاهد أولى الألباب وقد رفع عنهم الحجاب ، وقلت بفضل ربى :

تب إن أردت محبة الغفار فالله يغفر سائر الأوزار

ما خاب من قصد المهيمن تائبا ينجو بتوبته من الأغيار
لا يستقيم القلب فى أعماله حتى يتوب لواحد قهار

وحب الدنيا ظمأ وولـه وقلق ، فأذهب ظمأ روحك بزهدها فى الفانية ورغبتها فى الباقية ، فإذا رغبت زهدت ، وإذا زهدت وجدت ، وإذا وجدت جدت ، وإذا جدت عدت ، وإذا عدت وصلت ، وإذا وصلت اتصلت .

---

(١) البقرة : ٢٢٢ .

الحديث التاسع والعشرون

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « **دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض** »

أخرجه الإمام أحمد والشيخان وابن ماجه ، كلهم عن أبى هريرة ، والبخارى عن ابن عمر .

★ ★ ★ ★

« **دخلت امرأة ...** » قال فى الفتح [1] : لم أقف على اسمها ، وفى رواية أنها حميرية ، وفى رواية أنها من بنى إسرائيل ، ولا تضاد بينهما ؛ لأن طائفة من حمير دخلوا فى اليهودية فنسبت إلى دينها تارة وإلى قبيلتها أخرى .

قوله : « **فى هرة** » أى بسبب هرة ، فالفاء بمعنى باء السببية ، والهرة : أنثى السِّنور ، وجمعها هرر كقربة وقرب .

قوله : « **ربطتها** » أى : بحبل أو نحوه ، وفى باب فضل سقى الماء من كتاب الشرب للبخارى : « **حبستها حتى ماتت جوعا** » .

قوله : « **فلم تطعمها** » الفاء تفصيل وتفسير للربط ، « **ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض** » أى : لم تتركها ، وخشاش الأرض : حشراتها ، قال فى المصباح : خشاش الأرض وزان كلام ، والكسر لغة : دوابها ، الواحدة خشاشة ، وهى الحشرة والهامة . اهـ

والهامَّة بتشديد الميم المفتوحة ، وفى الحديث : « **أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة ، ومن كل عين لامّة** » [2] وأما بدون تشديد فهى الرأس ، وفى الحديث : « **عظيم الهامة** » [3] أى الرأس .

قال القسطلانى : وهذا مما استدركته السيدة عائشة على أبى هريرة رضى الله عنهما ، وقالت له : أتدرى ما كانت المرأة ؟ إن المرأة مع ما فعلت كانت

---

(١) أى : ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى شرح صحيح البخارى .
(٢) الحديث أخرجه أبو داود والترمذى والإمام أحمد .
(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى جامعه عن هند بن أبى هالة .

كافرة ، إن المؤمن أكرم على الله من أن يعذبه فى هرة ، فإذا حدثت عن رسول الله ـ ﷺ ـ فانظر كيف تحدث .

قلت : وفى هذا الكلام بحوث :

الأول : أنه يخالف رواية الفتح من أنها كانت يهودية ، واليهود فى الزمن السابق لا يسمون كفّارا، والجواب : يحتمل أنها كانت حميرية باقية على كفرها وشركها ، أو أنها دخلت اليهودية صورة ولم تتخل عن كفرها ، وبهذا يجمع بين كونها كافرة ويهودية .

الثانى : اتفق العلماء على أن فاعل الكبيرة إذا مات ولم يتب فأمره مفوّض لربه .

قال اللقانى رحمه الله :

ومن يمت ولم يتب من ذنبه ... فأمره مفوض لربه

وأما إذا تاب فاتفق العلماء على أن الله يقبل توبته ، ويغفر له ما قد سلف ولو كان كافرا .

الحديث الثلاثون

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى عليه وآله وسلم : « **ما بين منبرى وبيت عائشة روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى** »

أخرجه البخارى .

★ ★ ★ ★

قال الشيخ ابن أبى جمرة رحمه الله : إنما جعل الله هذه البقعة روضة من رياض الجنة لأنها ممشاه ﷺ .

قلت : وقد أكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وما ينسب إليه ، وجعل المسجد الذى بناه ﷺ الصلاة فيه بألف صلاة لنسبته للنبى صلى الله عليه وآله وسلم لا للمقدار ، أى : لا للوسع الذى بناه صلى الله عليه وآله وسلم ، فكلما اتسع المسجد وكان منسوبا له صلى الله عليه وآله وسلم كان فيه هذا الثواب إلى يوم القيامة ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : (**مسجدى مسجدى ولو إلى صنعاء**) أو كما قال . ومعناه : الصلاة فيه بألف صلاة ما دام ينسب إلىّ ولو وسعتموه إلى صنعاء اليمن .

وجعل الله البلد الذى اختاره لإقامته صلى الله عليه وآله وسلم حرما ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**حرمت من المدينة ما حرم إبراهيم من مكة ما بين لابتيها حرام**) واللابتان تثنية لابة : جبلان أسودان يحيطان بالمدينة ما بينهما حرم لا يُعْضَد شجره ، ولا ينفر صيده ، ولا يختلى خلاه ، كل ذلك إكراما واحتراما له ﷺ ، غير أن صيد مكة فيه الحرمة والجزاء ، وصيد المدينة فيه الحرمة ولا جزاء فيه .

ونصلى فى المحراب الذى كان يصلى فيه صلى الله عليه وآله وسلم كما صلى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى المكان الذى جلس فيه سيدنا موسى بن عمران عليه السلام ، وعند مقام إبراهيم عليه السلام ، فنبينا عليه الصلاة والسلام أولى من جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام باحترام آثاره وبالصلاة عندها وبالدعاء .

الحديث الحادى والثلاثون

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« **رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ** » أخرجه السيوطى

«**ورجل ذكرت عنده فلم يصل على فأبعده الله قل آمين : فقلت : آمين .** »

أخرجه المنذرى

★ ★ ★ ★

من فضل الله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه جعل الصلاة عليه واجبة كلما ذكر اسمه حيا وميتا ، وهذا الفضل لم يجعله الله تعالى لمخلوق إلا له صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن من يصلى عليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مرة يصلى الله عليه بها عشرا ، وأن الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم عتق من النار سواء كان ذلك فى حياته أم بعد مماته . قال صلى الله عليه وآله وسلم : (**من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ، ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ، ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها ألفا ، ومن صلى على ألفا حرم الله شعره وبشره على النار**) ومعنى بشره : جلده .

الحديث الثانى والثلاثون

قال ﷺ :

« نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا وقلوبنا لا تنام »

رواه البخارى

★ ★ ★ ★

اعلم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد خالفوا الخلق فى الموت الأصغر ، وأيضا خالفوهم فى الموت الأكبر ، قال عليه الصلاة والسلام : **(الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون)**

أخرجه الحافظ البيهقى .

فيا من تريد أن تسوى بين الأنبياء وغيرهم فى الموت . أين أنت من هذا الحديث ؟ أما سمعت قول الله تعالى فى الشهداء : (**أحياء عند ربهم يرزقون**) [1] والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من الشهداء ، ولذلك قال الشيخ تقى الدين السبكى الشافعى مؤلف جمع الجوامع والحافظ السيوطى رحمهما الله تعالى وغيرهما من العلماء : تؤخذ حياة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد الموت من آية الشهداء بالأولوية .

قلت : وقد ورد النص فى السنة المحمدية أيضا .

---

(١) آل عمران : ١٦٩ .

الحديث الثالث والثلاثون

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« من رآنى فى النوم فسيرانى فى اليقظة »

رواه البخارى ومسلم وأبو داود

★ ★ ★ ★

اختلف شراح البخارى فى معنى الحديث ... قال فريق يراه فى الدنيا ، وقال فريق آخر : يراه فى الآخرة ، ورد عليهم الفريق الثانى بأن رؤيته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ للمؤمنين يوم القيامة ليست متوقفة على رؤيته فى الدنيا فى النوم .

ثم قال جماعة : يلزم على رؤيته فى الدنيا فى اليقظة انتقاله من قبره الشريف وتعدده .

وأجاب العلماء بأن الثابت أنه صلى الله عليه وآله وسلم فى روضته كالشمس فى السماء ترى لكل إنسان وفى كل بلد ولم تنقل ولم تتعدد ، وهذا الذى ارتضاه السيوطى ، وألف فيه رسالة سماها : (تنوير الملك فى جواز رؤية النبى ﷺ والملك)

وصدرها بهذا الحديث السابق .

وممن أثبت ذلك وأقره شيخنا وأستاذنا الشيخ السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه ، وقد أخبر بأنه تلقى جميع أوراده عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقظة ، ووافقه فى ذلك تلميذه عالم المغرب السيد محمد بن على السنوسى رضى الله عنه ، وذكر ذلك فى كتبه .

الحديث الرابع والثلاثون

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« إن لله ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا : هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم إلى السماء الدنيا فيسألهم ربهم ــ وهو أعلم بهم ـ ما يقول عبادى ؟ فيقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك . فيقول : هل رأونى ؟ فيقولون : لا والله ما رأوك فيقول : كيف لو رأونى ؟ فيقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تحميدا وأكثر لك تسبيحا . فيقول : فما يسألونى ؟ فيقولون : يسألونك الجنة . فيقول : هل رأوها ؟ فيقولون : لا والله يا رب ما رأوها . فيقول : كيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة ، قال فمما يتعوذون ؟ فيقولون : من النار . فيقول : هل رأوها ؟ فيقولون : لا والله يا رب ما رأوها . فيقول : كيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة . فيقول : فأشهدكم أنى قد غفرت لهم . فيقول ملك منهم : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة . فيقول : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »

★ ★ ★ ★

هذا الحديث الذى أخرجه البخارى رحمه الله فى صحيحه ، ونقله شيخنا رضى الله عنه فى روح السنة ، أعظم دليل على حلق الذكر ، وأن يذكر الناس ربهم جماعة ، ويدل على فضل الذكر ، ويدل على فضل مجالسة الذاكرين لمن جالسهم ولو لم يكن منهم ، وفيه دليل على أن من زار قبر نبى أو قبر أحد من أهل بيت النبوة أو قبر صحابى أو ولى لله تعالى وجلس بجواره ولو شيئا قليلا يدخل فى هذا الحديث (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) .

الحديث الخامس والثلاثون

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله قال : حلق الذكر »

رواه أحمد بن حنبل والترمذى والبيهقى فى شعب الإيمان

★ ★ ★ ★

هذا الحديث أول ما سمعته عن شيخى العارف بالله تعالى السيد محمد الشريف بن العارف بالله تعالى السيد عبد العالى بن العارف بالله تعالى سيدى ومولاى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

قال السيد محمد الشريف رضى الله تعالى عنه : يؤخذ من هذا الحديث استحباب الاجتماع فى حلق الذكر ، وأن العارفين يتلذذون بذكر الله تعالى كما يتلذذ أهل الجنة بنعيمها ا هـ

يقول : ان الاجتماع فى حلق الذكر سنة وليس بدعة كما يدعيه المدعون لورود (**حلق الذكر**) فى الحديث ، وقد فعل الصحابة رضى الله تعالى عنهم ذلك ، وأقرهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما فى صحيح مسلم .

وأ ما تلذذهم بالذكر فلأسباب أولها : فناء ما سوى الله تعالى عن عين البصيرة حتى نفسه ، ولذلك كان السيد كثيرا ما يقول وهو فى الذكر : أفن نفسك يا ذاكر ، ولقد ذكرت معه كثيرا والحمد لله ، وفناء الأغيار يورث الأنوار، وهى بمنزلة الذوق اللسانى للقلب .

الشىء الثانى : مشاهدة الحق سبحانه مشاهدة منزهة عن الكيفيات خارجة عن المعقولات حتى يظهر أثر المشاهدة للروح ، وهو بمنزلة نعيم الجنة ، ولا يفضله إلا الرؤية الإلهية كما قال صاحب بدء الأمالى ـ رحمه الله فى وصف أهل الجنة عند رؤية الحق سبحانه :

فينسون النعيم إذا رأوه فيا خسران أهل الاعتزال

والمعنى : ينسون نعيم الجنة لنعيم الرؤية الإلهية ، كذلك العارفون فى

الدنيا ينسون نعيم الدنيا لما يجدونه فى قلوبهم وأرواحهم من التلذذ بمشاهدة الحق سبحانه وتعالى، كما قال سيدى عبد الله المحجوب الميرغنى رضى الله تعالى عنه :

وشاهد الذكر مع المذكور وغب عن الجنان والقصور

وكلام السيد محمد الشريف رضى الله تعالى عنه يفيد أن التلذذ بالذكر شىء عظيم .

اسمع يا أخانا ثم انصت بقلبك إلى كلامنا هذا : إن العارف بالله إذا ذكر الله تعالى تلذذت روحه وجسده وشعره ، وهو يشعر بذلك ، وهو فى هذه الحالة لا تحرقه النار ؛ لأنه فى حضرة اتصال تقلب له جميع المضار نفعا .

الحديث السادس والثلاثون

قال رسول الله ﷺ :

« لكل شيء صقالة ، وإن صقالة القلوب ذكر الله ، وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله ولو أن تضرب بسيفك حتى ينقطع »

رواه سيدى أحمد بن إدريس فى روح السنة

★ ★ ★ ★

هذا الحديث يدل على أن الذكر يجلو القلوب ، وأنها بتركه تصدأ كما يصدأ الحديد كما فى حديث آخر : (**إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤها ذكر الله**)

الشيء الثانى : أن ذكر الله أمان من عذاب الله .

الثالث : أنه له فضل عند الله عظيم ، وإذا كان العبد يذكر ربه ويجاهد فى سبيله فقد جمع بين الفضيلتين فضيلة الذكر وفضيلة الجهاد ، وكذلك الذى يذكر ربه ويجاهد نفسه وهواه .

الحديث السابع والثلاثون

عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس ، وإن نسى التقم قلبه »

رواه ابن أبى الدنيا وأبو يعلى فى مسنده والبيهقى فى شعب الإيمان

★★★★

هذا الحديث يخبرنا فيه النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن كيفية وسوسة الشيطان لقلب الإنسان ، وذلك أنه يأتى من جهة اليسار ، ويمد خطمه أى خرطومه إلى القلب ، فإن وجده مشغولا فى ذكر الله تعالى خنس ، أى رجع وهرب ، وإن وجده غافلا التقمه ، أى استلمه وصار يوسوس لصاحبه بما يغضب الله تعالى ، وفى بعض الروايات : (**وصار يمنى له الأمانى**) أى : يوسوس له بالتمنيات البعيدة من زخارف الدنيا وزينتها وحطامها حتى يشغله عن ذكر الله تعالى ، ويملى عليه الظنون والأوهام الكاذبة ، قال تعالى : **(يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا)** [1] أعاذنا الله وإياكم من وساوس الشيطان الرجيم .

سأل بعض الصالحين ربه تعالى أن يريه فى منامه كيف يوسوس الشيطان فى قلب المؤمن فرأى زجاجة مملوءة بالماء ، والضفدع يأتى إليها ، فإذا دنا منها اهتزت فيرجع الضفدع هاربا ، وقيل له : هذه الزجاجة مثل القلب ، واهتزازها مثل ذكر الله تعالى ، وهذا الضفدع هو مثل الشيطان .

واعلم يا أخانا فى الله تعالى أن الخاطر الذى يخطر بقلبك طالبا منك فعلا أو قولا فاعرضه على الكتاب والسنة فإن قبلاه فاعلم أنه من الملك فسارع فى إنفاذه وان لم يقبلاه ففر منه فرارك من السبع واعلم أنه من الشيطان .

---

(١) النساء : ١٢٠ .

وقد يوسوس الشيطان للإنسان بأشياء لو نطق بها لكفر، فإذا وصل إلى ذلك فليعلم أنه وصل إلى كمال الإيمان ، ولا يجادل الشيطان فإن المجادلة تزيده تمكينا كما نقل ذلك عن سيدى أحمد زروق رضى الله عنه، ونظمه الناظم بقوله الذى سمعته عن شيخى المحدث الشيخ حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى ـ بالمسجد الحسينى :

وما به يوسوس الشيطان ... والقلب يأباه هو الإيمان
فلا تجادل عنده اللعينا ... فإنه يزيده تمكينا
قاعدة أسسها زروق ... ولم تزل أقواله تروق

الحديث الثامن والثلاثون

عن أبى بكر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما ، فإن إبليس قال : أهلكت الناس بالذنوب ، وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالهوى ويحسبون أنهم مهتدون »

أخرجه أبو يعلى فى مسنده ورواه سيدى أحمد بن ادريس فى روح السنة

★ ★ ★ ★

فى هذا الحديث أمر من النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالإكثار من ذكر (لا إله إلا الله) والاستغفار ؛ لأن ذكر (لا إله إلا الله) يدعو النفس إلى التوبة والندم ، والتوبة تدعو النفس إلى الاستغفار ، والاستغفار يغفر الله به الخطايا

وأما الهوى فهو كما قال الله تعالى : (**أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا**) [1] فهو عبارة عن فعل المعصية فى صورة طاعة ، فإذا فرغ منها صاحبها لا يندم ولا يتوب فلذلك يحرم المغفرة ، أو يتكلم مع الله تعالى بعد فعل المعصية بكلام لا يليق كأن يحتج بالقضاء والقدر على الله تعالى .

وقد تكلم ابن عباد الشافعى فى شرح حكم أحمد بن عطاء الله السكندرى المالكى فى هذه المسألة بكلام لطيف ثم ذكر حديثا ، قال عليه الصلاة والسلام : (**إذا أذنب العبد ذنبا وقال : يا رب أخطأت وأذنبت . يقول الله تعالى : غفرت ورحمت . وإذا قال : قدرت وأردت . يقول الله تعالى : لاغفرت ولا رحمت .**)

وقال سيدى على أبى الحسن الشاذلى - رضى الله عنه - فى توبة آدم عليه السلام : ليكون قدوة لولده فى التوبة والأعمال الصالحات . ومعنى هذا الكلام أن سيدنا آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة نسب الخطأ إلى نفسه

---

(١) فاطر : ٨ .

وقال : (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)[1] كذلك المؤمنون إذا فعل منهم إنسان خطأ يخاطب الله تعالى بخطاب أبيه آدم يقول : (رب إنى ظلمت نفسى) ولا يحتج بالقضاء والقدر ومن دعائه ﷺ : (لبيك اللهم لبيك وسعديك والخير كله بيديك والشرليس إليك) .

(١) الاعراف : ٢٣

الحديث التاسع والثلاثون

عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن »

رواه الترمذى

★ ★ ★ ★

يأمرنا ﷺ بتقوى الله عز وجل فى معاملاتنا الثلاث وهى : معاملة الله عز وجل ، ومعاملة النفس ، ومعاملة الناس ؛ لأن من أحسن هذه المعاملات عاش آمنا وبعث يوم القيامة آمنا ، وأدخله الله الجنة مع المتقين الآمنين .

فأما معاملته تعالى فهى التقوى فى السرّ والعلانية ، وهى وصيته سبحانه لنا وللذين من قبلنا **«ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله »** [1] وهى كما قال سيدنا على كرم الله وجهه : (الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل) لأن الخوف من الله تعالى يرغّب النفس وينشطها على فعل الحسنات والصالحات ويمنعها من ارتكاب النقائص والمخالفات ، فمن عرف الله خافه ، ومن خافه اتقاه ، ومن اتقاه امتثل أمره واجتنب نهيه (**ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون**)[2]

والعمل بالتنزيل هو العمل بكتاب الله عز وجل فيما أمر ونهى لأنه الصراط المستقيم من سلكه وصل إلى رضوان الله ، ومن أعرض عنه كان من الهالكين (**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته وليتذكر أولو الألباب**)[3]

والرضا بالقليل هو التسليم لقضاء الله ومقاديره والشكر له على جميع الحالات ؛ لأنه يعلم ولا نعلم وهو علام الغيوب ، فكم من مالٍ كثير أشقى صاحبه ، وكم من قليل أسعد !

---

(١) النساء : ١٣١ .

(٢) الزمر : ١٦ .

(٣) سورة ص : ٢٩ .

(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون)[1]

والاستعداد ليوم الرحيل هو التأهب للموت الذى يأتى فى غير ميعاد معلوم، بل يأتى بغتة بأمر الله الحى القيوم ، فكم من صحيح أصبح مع الأحياء وأمسى مع الأموات ، كان مع أولاده وأحبابه فأمسى رهينا بقبره وترابه ، فالعاقل من أعدّ العدة للقاء من أمره بين الكاف والنون .

ومعاملة النفس هى السعى فى أمر إصلاحها وفلاحها وأدبها وتزكيتها وتوبتها إلى الله عز وجل وفعل الحسنات بعد السيئات ليكفر الله عنها ما سبق ويكتبها مع التائبين . (إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)[2] لأن من أهمل نفسه فقد أضاعها وضياعها جرم عظيم ، فالفلاح لمن هذب نفسه بالشرع الحنيف ، والخيبة على من أهملها (قد أفلح من زكاها ★ وقد خاب من دساها)[3]

ومعاملة الناس : بحسن الخلق ، وهو أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتحلم على الجاهلين ؛ لأن الحلم ماء والغضب نار ، وصاحب الماء يغلب صاحب النار ، وإياكم والغضب فإنه بئس القرين ، فبه يؤذى الانسان جيرانه وبه يطلق الرجل زوجته ، ويسب الشرع والدين ، وبه تسفك الدماء ، وتسب الآباء والأمهات وما من فتنة إلا ومنشؤها الغضب ، فهو سكّين التقاطع ، وعنوان الشر ، وناعق الخراب ، وشؤم الإنسانية ، وشرر المجتمع ، وحالقة الإخاء ، وخمرة العقول ، وأزمة الحكمة ومضلة الفطنة ، ونار العداوة ، وظلمة الجهل ، فمن أراد أن يعيش سعيدا فليصحب الحلم ، وليحذر الغضب ، وليتخلق بأخلاق أحلم العالمين ﷺ .

---

(١) البقرة : ٢١٦ .
(٢) هود : ١١٤ .
(٣) الشمس : ٩ ، ١٠

الحديث الأربعون

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال :

« لا تشد الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا»

أخرجه البخارى ومسلم

★ ★ ★ ★

يريد النبى ﷺ أن يبين فضل المساجد الثلاثة ، وأن يبين أن باقى المساجد متساوية فى الفضل ، فلا يجوز لأحد أن ينتقل من مسجد إلى مسجد آخر معتقداً أن الصلاة فى المسجد الآخر أفضل من المسجد الذى انتقل منه ، فالمساجد متساوية فى حصول الثواب بالعبادة فيها إلا المسجد الحرام فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة ، وفى مسجد النبى ﷺ : الصلاة بألف صلاة ، وفى المسجد الأقصى ـ أخرج الله منه اليهود قريبا إن شاء الله ـ بخمسمائة صلاة .(١)

معنى الحديث : لا ينتقل أحد من مسجد من المساجد إلى مسجد آخر معتقدا أن الصلاة فى الثانى أفضل من الأول إلا للثلاثة مساجد لفضلها .

فالمستثنى منه عموم المساجد ، والمستثنى المساجد الثلاثة ، وأراد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى هذا الحديث أن العبادة فى جميع المساجد متساوية فى الثواب ، فلا ينبغى لأحد أن يفضل مسجدا على مسجد آخر تفضيلا يبيح له الانتقال إلا إلى المساجد الثلاثة ، فأفضلية العبادة فيها عن غيرها تبيح لنا أن ننتقل من غيرها إليها ، وهذه الأفضلية توقيفية عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

وأخذ الفقهاء من هذا الحديث أن الإنسان لو نذر أن يصلى ركعتين لله فى

---

(١) الحديث « صلاة فى المسجد الحرام مائة ألف صلاة ، وصلاة فى مسجدى ألف صلاة ، وفى بيت المقدس خمسمائة صلاة » أخرجه البيهقى فى الشعب ، ورواه البخارى ومالك وغيرهما .

الجامع الأزهر جاز له أن يصليهما فى أى مسجد كان ، أما إذا نذر أن يصلى ركعتين فى واحد من المساجد الثلاثة فلابد أن يهاجر إلى المساجد الثلاثة .

وكثير من الناس إذا قلت له : أريد أن أزور النبى ﷺ يقول : قال عليه الصلاة والسلام : « **لا تشد الرحال ...** » وإذا قلت : أريد أن أزور وليًّا من أولياء الله تعالى يقول لك « **لا تشد الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد ...** » الحديث لا يتناول هذا المعنى الذى قاله هذا الإنسان ؛ لأن الحديث يتكلم عن المساجد لا عن زيارة المقابر .

وقوله : « **لا تشد الرحال ...** » خرج مخرج الغالب إذ الانتقال يعم شد الرحال وغيرها ، هذا الذى ألهمنيه ربى سبحانه وتعالى ، وبعد الاطلاع على شراح الحديث وجدت القول الصحيح هو الذى ذكرته هنا ، وإليك قول أمير المؤمنين الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمه الله فى الحديث : (والأولى أنه يقدر ما هو أكثر مناسبة وهو : لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى الثلاثة ، فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين) .

قال ابن حجر رحمه الله : (وهى من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية) يعنى تحريم شد الرحال إلى زيارة قبر النبى ﷺ .

فائدة : الشىء الذى يوصل إلى الواجب يكون واجبا كدفع المبلغ الذى تأخذه شركة الحج إذا توقف الحج عليه يكون دفعه واجبا ، وكذلك دفع المال الذى تتوقف عليه العمرة على القول بأنها سنة إذا كانت توقفت العمرة عليه يكون دفعه سنة ، بمعنى أنه يثاب ثواب السنة على المال المدفوع للعمرة ، وقد ثبت بالسنة القولية والفعلية استحباب زيارة قبور المسلمين ، أما القولية فقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « **ألا فزوروها** » [1] وأما الفعلية فزيارته صلى الله عليه وآله وسلم لقبور أهل البقيع .

---

(١) بعض حديث رواه البخارى ومسلم عن أنس .

فإذا ثبت أن زيارة القبور سنة فالذى يوصل إليها يكون سنة ، فإذا مشيت مشيا إلى المقبرة كما مشى النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى البقيع كان مشيك سنة ، بمعنى أنك تثاب عليه ثواب السنة ، فإذا ركبت دابة إلى زيارة القرافة واستأجرتها بأجر كان دفعك لهذا الأجر سنة ، بمعنى أنك تثاب عليه ثواب السنة ، فلو أن رجلا دعواه والداه إلى الحضور بالصعيد يكون ذهابه إلى الصعيد واجبا ، فإذا أجر القطار أو أجر دابة وذهب إلى والديه بالصعيد يثاب على هذه الأجرة ثواب الواجب لأن طاعة الوالدين واجبة ، حينئذ قول من يقول إن شد الرحل إلى زيارة القبور حرام ويستدل بالحديث : «**لا تشد الرحال ...** » غير صحيح لأن الأمر عام ، قال عليه الصلاة والسلام : « ألا فزوروها » يعنى مشاة أو ركبانا فكونه يقول : شد الرحال حرام ويعترض على الزائرين . هذا من غير دليل .

كيف وقد قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى حديث مسجد قباء عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتى قباء ماشيا وراكبا ، قال الحافظ : فيه أن النهى عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة ليس على التحريم .

فهرس الفوائد الجعفرية
من أنوار الأحاديث النبوية

الموضوع	الصفحة
كلمة الناشر	١
تقديم الكتاب لفضيلة الشيخ عبد الغنى صالح الجعفرى	٢
الحديث الأول :	٤
« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ... »	
الحديث الثانى :	١٠
« إن الله تعالى ـ قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ... »	
الحديث الثالث :	١٢
« أولياء الله الذين إذا رءوا ذكر الله »	
الحديث الرابع :	١٣
« قال الله تعالى : إنى أنا الله لا إله إلا أنا ... »	
الحديث الخامس :	١٥
« سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ... »	
الحديث السادس :	١٨
« إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ابن آدم ... »	
الحديث السابع :	٢٤
« من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده »	
الحديث الثامن :	٢٦
« ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ ... »	
الحديث التاسع :	٢٨
نزول جبريل عليه السلا م لبيان مواقيت الصلاة	
الحديث العاشر :	٢٩
« حبب إلىّ من دنياكم ثلاث ... »	

الموضوع	الصفحة
الحديث الحادى عشر :	٣١
حديث الشهيد سيدنا جعفر الطيار بن أبى طالب رضى الله عنه	
الحديث الثانى عشر :	٣٣
« الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون »	
الحديث الثالث عشر :	٤١
« إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم ... »	
الحديث الرابع عشر :	٤٥
« إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ... »	
الحديث الخامس عشر :	٤٧
« إنى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ... »	
الحديث السادس عشر :	٤٨
« ائتوا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم ... »	
الحديث السابع عشر :	٤٩
« يسّ لما قرئت له فاقرءوها على موتاكم »	
الحديث الثامن عشر :	٥٠
حديث انتفاع الميت بالصدقة عنه	
الحديث التاسع عشر :	٥٢
« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ... »	
الحديث العشرون :	٥٤
« إن المؤمن ليرفع له الدرجة فى الجنة فيقول : ... »	
الحديث الحادى والعشرون :	٥٥
« ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان ... »	
الحديث الثانى والعشرون :	٦٢
« ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا ... »	

الموضوع	الصفحة

الحديث الثالث والعشرون : ٦٨
« اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجد فبكلمة طيبة »
الحديث الرابع والعشرون : ٧٢
« أهل الجنة كل هين لين سهل قريب ... »
الحديث الخامس والعشرون : ٧٤
« إن لله ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله عليه أمر دينه ودنياه ... »
الحديث السادس والعشرون : ٧٧
زيارة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لأم أيمن رضى الله عنها
الحديث السابع والعشرون : ٧٨
« ليس منا من لم يبجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه »
الحديث الثامن والعشرون : ٧٩
« إن الله ـ تعالى ـ يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى ... »
الحديث التاسع والعشرون : ٨١
« دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ... »
الحديث الثلاثون : ٨٣
« ما بين منبرى وبيت عائشه روضة من رياض الجنة ... »
الحديث الحادى والثلاثون : ٨٤
« رغم أنف رجل ذكرتُ عنده فلم يصل علىّ »
الحديث الثانى والثلاثون : ٨٥
« نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا وقلوبنا لا تنام »

الموضوع	الصفحة

الحديث الثالث والثلاثون : ٨٦
« من رآنى فى النوم فسيرانى فى اليقظة »
الحديث الرابع والثلاثون : ٨٧
« إن لله ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس ... »
الحديث الخامس والثلاثون : ٨٨
« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ... »
الحديث السادس والثلاثون : ٩٠
« لكل شىء صقالة ، وإن صقالة القلوب ذكر الله ... »
الحديث السابع والثلاثون : ٩١
« إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم ... »
الحديث الثامن والثلاثون : ٩٣
« عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما ... »
الحديث التاسع والثلاثون : ٩٥
« اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ... »
الحديث الأربعون : ٩٧
« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ... »